

سلسلة
مصر بين عهدين
مرسي والسيدي
دراسة مقارنة
(5)

الأداء الإعلامي



إعداد

ربيع محمد الدنان

إشراف و تحرير

د. محسن محمد صالح



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

سلسلة
مطر بين عهدين
مرسي والسيسي
دراسة مقارنة
(5)

الأداء الإعلامي

إعداد

ربيع محمد الدنان

إشراف وتحرير

د. محسن محمد صالح



مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات
بيروت - لبنان

Egypt Between Two Eras: Morsi and al-Sisi
A Comparative Study

(5)

Media Performance

Prepared by:

Rabi' Mohammad al-Dannan

Edited by:

Dr. Mohsen Mohammad Saleh

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

2016م – 1437هـ

بيروت – لبنان

ISBN 978-9953-572-55-0

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

تلفون: + 961 1 80 36 44

تلفاكس: + 961 1 80 36 43

ص.ب.: 5034-14 بيروت – لبنان

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net

الموقع: www.alzaytouna.net

إخراج

مروة غلاييني

تصميم الغلاف

ربيع مراد

طباعة

CA s.a.r.l. Beirut, Lebanon

فهرس المحتويات

3.....	فهرس المحتويات
5.....	مقدمة
6.....	أولاً: الإعلام المصري خلال أيام الثورة (2011/2/11-1/25)
8.....	ثانياً: الإعلام في حقبة المجلس العسكري (2012/6/29-2011/2/12)
10.....	ثالثاً: الإعلام في عهد الرئيس محمد مرسي (2013/7/3-2012/6/30):
14.....	1. الطعن في شرعية مرسي
14.....	2. الطعن في وطنية مرسي والإخوان
17.....	3. تشبيه مرسي بمبارك والإخوان بالحزب الوطني
18.....	رابعاً: الإعلام في عهد عدلي منصور (2014/6/8-2013/7/3):
24.....	1. فبركة وتزييف حقائق في عهد منصور
27.....	2. تعامل الإعلام مع فض اعتصامي رابعة والنهضة
30.....	خامساً: الإعلام في عهد عبد الفتاح السيسي (منذ 2014/6/8)
39.....	خلاصة

الأداء الإعلامي

مقدمة:

دخل الإعلام المصري حالة الاستقطاب والتجاذب السياسي بعد ثورة 25 يناير، وبعد مرور نحو خمسة أعوام على الثورة التي أطاحت بالرئيس المصري الأسبق حسني مبارك، ما تزال مصر تعاني من وجود قطاع إعلامي سلطوي، وقيود على حرية التعبير.

شكلت لحظة رحيل مبارك نقطة فارقة في مسيرة الإعلام المصري، الذي وجد نفسه فجأة متحرراً من معظم القيود الأمنية والإدارية التي كانت تحكمه طوال عقود، فكان أن تحولت الحرية وسقوط القيود إلى ما سماه البعض فوضى إعلامية، بينما لم تقم السلطة الانتقالية بأي خطوات لإعادة تنظيم الإعلام المصري هيكلياً وتشريعياً بما يتناسب مع الواقع الجديد.

لم تستغل الأنظمة التي حكمت البلاد في فترة ما بعد الثورة الفرص التي أتت لها لإصلاح وسائل الإعلام الحكومية والخاصة، حيث تعرّضت الأصوات الناقدة لأداء الإعلام إلى المضايقات والتهميش، من جانب جهات حكومية وغير حكومية. وتأثرت وسائل الإعلام الخاصة بملاكها من رجال الأعمال الذين ارتبطوا بعلاقات مع نظام مبارك والدولة العميقة.

منذ تولي محمد مرسي الرئاسة، وربما قبل ذلك، أصبح هدفاً مفضلاً للإعلام المحلي الذي أوسع نقداً واستهدافاً، بل وسخرية واستخفافاً، حيث تبارت في ذلك سلسلة من القنوات الخاصة الدائنة الصيت التي يملكها رجال أعمال يرتبطون بمبارك وعهده. ولم يستطع مرسي أن يحد من هذه الحملات التي استهدفته وجماعة الإخوان المسلمين، والتيار الإسلامي عموماً.

ودخل المشهد الإعلامي في مصر مرحلة جديدة بالغة الدلالة والخطورة بعد عزل الرئيس مرسي، فقد تحول الإعلام بشكل واضح إلى أداة صريحة في الصراع السياسي بين السلطة الانتقالية الجديدة وبين الإخوان المسلمين وأنصارهم. وزادت صعوبة إيجاد مكان للأصوات الناقدة في وسائل الإعلام التقليدية. فقد دعمت الكثير من وسائل

الإعلام في مصر وبقوة سردية النظام للأحداث، أما الأصوات المعارضة، فهي شبه غائبة من الصحف والبرامج التلفزيونية، حيث أغلقت الحكومة وسائل الإعلام المعارضة للانقلاب.

نسلط الضوء في هذه الدراسة على تطور الأداء الإعلامي المصري منذ ثورة 25 يناير حتى نهاية سنة 2015.

أولاً: الإعلام المصري خلال أيام الثورة (2011/2/11-1/25)

حافظت الصحف المملوكة للدولة على ولائها لنظام مبارك حتى قبل أيام قليلة من الإطاحة به في 2011/2/11. ففي 2011/2/3 جاء العنوان الرئيسي في صحيفة الأهرام على النحو التالي: ”الملايين يؤيدون مبارك في مسيرات بالمحافظات“، في الوقت الذي كان الملايين في الشوارع يطالبونه بالتنحي. وفي 2011/2/12 غيرت الأهرام لهجتها تماماً، حيث كان العنوان الرئيسي فيها: ”الشعب أسقط النظام“. واستمرت هذه الصحف في خطابها السابق، مع فاروق وحيد هو أنه تمّ استبدال المجلس الأعلى للقوات المسلحة بمبارك. فالصحف نفسها التي مجّدت مبارك ومن ثمّ شعب مصر لفترة وجيزة جداً، سرعان ما بدأت تمجّد المجلس العسكري وزعيمه، في ذلك الوقت المشير حسين طنطاوي، في حين بقيت العقلية الاستبدادية مكانها كما عكستها وسائل الإعلام؛ وأصبح الجيش هو المنقذ، وأصبح كل من يتحدّث ضدّه أو يهاجمه مهدداً بالمحاكمات العسكرية.

لم يختلف التلفزيون الحكومي عما يماثله من وسائل إعلامية مطبوعة. واتهم مقدّمو البرامج الحوارية والضيوف على شاشة التلفزيون المملوكة للدولة، المحتجّين والمعتصمين بكل شيء، من كونهم حفنة من الشباب الضائع الذي يقيم حفلات عربدة جنسية في ميدان التحرير، إلى كونهم عملاء لحكومات أجنبية... وركّزت الكاميرات المنصوبة حول منطقة وسط القاهرة على عرض منظر نهر النيل الهادئ من الجسور القريبة، في حين كان المتظاهرون يتعرّضون للقتل على بعد بضعة مئات من الأمتار. وعرضت القنوات الإخبارية أفلاماً عن أنواع الفيلة في إفريقيا بدلاً من أن تقدّم تغطية مستمرة لما يجري من تظاهرات في ميدان التحرير والتظاهرات الكبرى الأخرى في كل

مدينة. وقد حمل بعض المتظاهرين في أنحاء الجمهورية لافتات تتهم وسائل الإعلام الحكومية بالكذب. وحاول بعض الصحفيين والمذيعين الأفراد داخل المؤسسات الإعلامية الحكومية أن يقاوموا ذلك، فاستقالت نائب رئيس قناة النيل شهيرة أمين احتجاجاً على تغطية القناة المتحيّزة لصالح النظام، وكشفت عن أنه لم يسمح لها أن تقول إن المتظاهرين طالبوا باستقالة مبارك. وهُدّد عدد قليل من الصحفيين الشباب بالاستقالة إذا لم يسمح لهم بتغطية الاحتجاجات الواسعة المناهضة لمبارك. وقد ازداد هذا الضغط على رؤساء التحرير عندما قُتل اثنان من صحفيي الأهرام، وألقي القبض على عشرات الصحفيين من جانب الحكومة. وعندما بدأ أن مسار الأحداث بدأ بالتحوّل لصالح الثورة، مال رؤساء التحرير باتجاه الثوار بدرجات مختلفة حتى بعد ظهر 2011/2/11 عندما تنحّى مبارك. ثم بدأت وسائل الإعلام الحكومية بالثناء على الثوار على نطاق واسع كأنهم منهم¹.

أما القنوات الفضائية الخاصة فقد اختلفت في مستوى تأييدها لمبارك أو المتظاهرين الذين تعهدوا بإسقاطه. العديد من هذه القنوات يملكها رجال أعمال ممّن كانوا يرتبطون بتحالف وثيق مع نظام مبارك، لذلك حاولت قدر الإمكان الدفاع عن النظام وتشويه سمعة المتظاهرين. فمثلاً أظهر أحد البرامج الحوارية المسائية، الذي يقدمه صحفيين حكوميين، في 2011/2/2 فتاة شابة حضرت لتقديم اعترافاتها أمام الشعب المصري، ادّعت الفتاة أنها ذهبت مع بعض النشطاء البارزين في رحلات إلى صربيا، حصل كل منهم خلالها على مبلغ 50 ألف دولار وحضروا ورش عمل حول كيفية قلب نظام الحكم، أشرف عليها مدرّبون من إيران و”إسرائيل“. انهارت الفتاة باكياً وهي تتوسّل الجمهور أن يغفر لها، ويقف إلى جانب مبارك ضدّ ”الخونة“ الذين يحاولون بيع بلادهم إلى عملاء أجنبي. وبعد بضعة أيام تبين أن الفتاة الشابة زميلة لمقدم البرنامج الحوارية على قناة المحور سيد علي، وهي الصحفية في ”جريدة 24 ساعة“ نجاة عبد الرحمن، واعترفت بأن الواقعة كلها كانت مبركة².

¹ رشا عبد الله، ”الإعلام المصري في خضمّ الثورة“، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 2014/7/16، انظر: <http://carnegie-mec.org/publications/?fa=56329#>

² المرجع نفسه. وانظر أيضاً: موقع مَصْرَس (مصر برس)، 2011/2/6، في: <http://www.masress.com/shabab/34302>؛ وموقع مَصْرَس 2011/2/8، في: <http://www.masress.com/shabab/3963>

كان هناك عدد قليل من القنوات التلفزيونية الخاصة وبعض البرامج المحددة على القنوات الأخرى التي اختارت الوقوف إلى جانب الثورة، وحاولت تغطية ما يجري في الساحات المصرية بقدر المستطاع، وقد سَعَت إلى استضافة ضيوف متوازنين، بما في ذلك النشطاء والمثقفين، إضافة إلى ممثلين عن الحكومة والحزب الوطني الديمقراطي. وقد واجه العديد من هذه الوسائل بعض المضايقات من جانب الحكومة، بما في ذلك قناة الجزيرة التي أغلقت الحكومة مكاتبها³.

ثانياً: الإعلام في حقبة المجلس العسكري (2011/2/12-2012/6/29):

شكّلت لحظة رحيل مبارك نقطة فارقة في مسيرة الإعلام المصري، الذي وجد نفسه فجأة متحرراً من معظم القيود الأمنية والإدارية التي كانت تحكمه طوال عقود، فكان أن تحولت الحرية وسقوط القيود إلى ما سماه البعض فوضى إعلامية، ترافقت مع ظهور عشرات القنوات الفضائية والصحف الخاصة؛ الأمر الذي زاد من حالة الانفلات الإعلامي دون ضوابط أو قواعد تحكم الأداء الإعلامي، بينما لم تقم السلطة الانتقالية التي تولت الحكم ممثلة في المجلس العسكري بأي خطوات لإعادة تنظيم الإعلام المصري هيكلياً وتشريعياً بما يتناسب مع الواقع الجديد. وفي الأسابيع الأولى من حكم المجلس العسكري قالت السلطات إنه لم تُعد هناك حاجة إلى الحصول على موافقات أمن الدولة للموافقة على تراخيص البث التلفزيوني، وتمّ إلغاء وزارة الإعلام، وبدأت 16 قناة تلفزيونية فضائية خاصة جديدة في البث. ومجد الإعلام الحكومي الثوار طالما أن ذلك لم يكن يتعارض مع تمجيد المؤسسة العسكرية. وأصبح كل ما يتعلق بالثورة حديث الساعة، حيث أصبح النشطاء ضيوفاً دائمين على البرامج الحوارية، وأجروا مقابلات صحفية متكررة. وبدأت الخطوط التحريرية تشير إلى أن مبارك كان دائماً الخطر المطلق، وأن الثوار ملائكة مطلقة، والجيش هو منقذ الثورة⁴.

³ رشا عبد الله، مرجع سابق.

⁴ شحاتة عوض، "الإعلام المصري بعد 30 يونيو: أزمة بنيوية أم مرحلة عابرة؟"، موقع مركز الجزيرة للدراسات، 2014/6/23، انظر: <http://studies.aljazeera.net/mediastudies/2014/02/2014220112393771163.htm>

وبعد فترة قليلة بدأ تمجيد وسائل الإعلام الحكومية للنشطاء يتقلص لصالح المجلس العسكري. وبدأت حرية التعبير تواجه بعض التهديدات والتحديات الخطيرة عندما بدأ النظام بتضييق الخناق على الحريات الإعلامية. وأعيدت وزارة الإعلام في تموز/ يوليو 2011، في خطوة عدّها العديد من المدافعين عن وسائل الإعلام مثيرة للقلق. وأصبح الإعلام الحكومي مؤيداً قوياً للنظام العسكري، وقام بحملات تشهير لتشويه سمعة الثوار. وأشار تقرير نشرته مجلة تايم الأمريكية إلى أن البرامج الحوارية في محطات الإعلام الحكومي كانت مليئةً بالألفاظ المعادية للمحتجين، حيث صوّرت الثوار باعتبارهم بلطجية، وحذّرت من "التدخل الأجنبي" في الشؤون المصرية، ومن تزايد انعدام الأمن وارتفاع معدلات الجريمة. ووصفت التظاهرات المناهضة للمؤسسة العسكرية "بأنها أحداث خطيرة ومزعزعة للاستقرار يحركها عملاء أجنبي". كما تعرّض الأشخاص الذين انتقدوا المؤسسة العسكرية إلى التهيب من جانب النظام بوسائل عديدة. ففي أوائل آذار/ مارس 2011، بدأت المؤسسة إخضاع المدونين والصحفيين إلى محاكمات وتحقيقات عسكرية. كما أصدر المجلس العسكري تحذيراً للصحفيين والمحررين يمنع نشر أو بث أيّ مواضيع وأخبار وبيانات وشكاوى وإعلانات وصور تتعلق بالقوات المسلحة أو قادة القوات المسلحة بدون التشاور أولاً مع إدارة الشؤون المعنوية وإدارة المخابرات العسكرية وجمع المعلومات، باعتبارهما السلطات المتخصصة في مراجعة مثل هذه الموضوعات. في ذلك الوقت، وصفت لجنة حماية الصحفيين هذا التطور بأنه "أسوأ نكسة تتعرّض إليها حرية الصحافة في مصر منذ سقوط الرئيس حسني مبارك"⁵.

ومع بداية حالة الاستقطاب والانقسام السياسي، وجد الإعلام المصري نفسه جزءاً من هذا السجال من خلال التركيز الكبير على الصراع الدائر بين الإسلاميين من جهة، والعلمانيين والليبراليين من جهة أخرى، وقيام الصحف التابعة لتلك الأحزاب بشن حملات ضد الآخر، دون مراعاة صالح الوطن الذي يحتاج إلى الاستقرار وإلى دعم الجميع من أجل إعادة البناء⁶.

⁵ رشا عبد الله، مرجع سابق. وانظر أيضاً:

Abigail Hauslohner, The Most Powerful Weapon of Egypt's Ruling Generals: State TV, *Time* magazine, 29/2/2012, <http://content.time.com/time/world/article/0,8599,2107910,00.html>

⁶ "الإعلام المصري بعد الثورة بين الموضوعية والانحياز"، موقع مركز سواسية لحقوق الإنسان ومناهضة التمييز، 2011/7/4، انظر: http://www.sawasya.net/news_Details.aspx?Kind=2&News_ID=

ثالثاً: الإعلام في عهد الرئيس محمد مرسي :(2013/7/3-2012/6/30)

منذ تولي محمد مرسي الرئاسة، وربما قبل ذلك، أصبح هدفاً مفضلاً للإعلام المحلي الذي أوسع نطاقاً واستهدافاً، بل وسخرية واستخفافاً، حيث تبارت في ذلك سلسلة من القنوات الخاصة الذائعة الصيت التي يملكها رجال أعمال يرتبطون بمبارك وعهده. ولم يستطع مرسي أن يحد من هذه الحملات التي استهدفتها وجماعة الإخوان المسلمين، والتيار الإسلامي عموماً.

لم ينته الأمر عند هذا الحد، بل إن وسائل الإعلام المملوكة للدولة من قنوات تلفزيون ومحطات إذاعة وصحف ومواقع إلكترونية، كثيراً ما شاركت بقدر أو بآخر في هذه الحملات تحت مظلة الحرية. ومع الوقت تخصصت قنوات وصحف في انتقاد مرسي والهجوم على جماعة الإخوان، فيما وصفه الجماعة والمنتسبون إليها مراراً بأنه حملة منظمة تستهدف شيطنتها سواء عبر الإيحاء بأنها هي من تدير الأمور في مصر لا الرئيس المنتخب، أم باتهامهما معاً بتجاهل القوى الأخرى وإقصائها، بالإضافة إلى الفشل والتقصير وحتى العمالة⁷. ونتج عن ذلك رفع عدد غير مسبوق من القضايا أمام المحاكم ضد الصحفيين والإعلاميين بتهمة "إهانة الرئيس"، وذكرت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان أنه جرى رفع 24 من هذه القضايا في الأيام المتتمة الأولى من حكم مرسي، مقابل 23 قضية في السنوات الـ 126 السابقة. أما التهم الأخرى التي استُخدمت فتضمنت تشويه صورة الرئيس، والتشهير بالسلطة القضائية، والتشهير بالجيش، وتشويه صورة الإسلام،...⁸ وغيرها.

وعلى الرغم من تعيين وزير جديد للإعلام موالٍ لجماعة الإخوان المسلمين، وتعيين مجلس الشورى، الذي يُعد الكثير من أعضائه من الإسلاميين، رؤساء تحرير جديداً، لم تكن الصورة واضحة كما كانت في عهد مبارك أو المجلس العسكري، حيث تعامل مجلس الشورى مع موضوع التعيينات بموضوعية لافتة، حيث لم يعين سوى اثنين من المحسوبين على الإخوان من أصل خمسين. كما بقي العديد من هذه المؤسسات موالية لنظام مبارك، وكان الصراع صراع سلطة وولاء لنظام دون آخر، بدل أن يكون الولاء

⁷ موقع الجزيرة.نت، 2013/8/15، انظر: <http://bit.ly/1Pt8Ttt>

⁸ رشا عبد الله، مرجع سابق.

للمعايير الصحفية المهنية أو للشعب. وعانى الإعلام المصري حالةً من الاستقطاب خلال حكم مرسي، وبمرور الوقت ازداد هذا الاستقطاب حدةً. وامتلات القنوات الإعلامية بعبارات مثل "أخونة الدولة"، والتي تصوّر قلق البلاد المتزايد من سيطرة أعضاء جماعة الإخوان المسلمين على معظم المناصب الحيوية في الحكومة. وعندما اندلع العنف في التظاهرات المناهضة للإخوان، بدأت هذه القنوات باستخدام مصطلحات مثل "ميليشيات الإخوان المسلمين" للإشارة إلى البلطجية الذين يهاجمون المتظاهرين⁹، مع أن البلطجية كانوا في كثير من الأحيان من الأجهزة الأمنية، أو مدفوعين من رجال مبارك.

وعندما وصف مرشد الإخوان المسلمين محمد بديع بعض رموز الإعلام في مصر بأنهم مثل "سحرة فرعون" تجددت الحملات على الرجل وجماعته وعلى الرئيس، وبدا أن الحملة الإعلامية أقوى من الجماعة التي لم تظهر في السلطة التميز نفسه الذي سبق أن أظهرته في المعارضة، ليبدو مع الوقت أن هذه الحملة تنجح تدريجياً في شحن فئات متزايدة من المصريين ضد الإخوان والرئيس مرسي. ووصلت الحملات إلى ذروتها بالاستفادة من إخفاقات عديدة شهدها حكم مرسي، خصوصاً فيما يتعلق بنقص الوقود وانقطاع الكهرباء...، مما أوجد بيئة بدت مهياً لقبول الشحن والوقوع في فخّ شيطنة مرسي والتيار الإسلامي كله، وهو ما مهد بدوره لقبول الخطوة التالية وهي التحريض. ومع تدخل الجيش لعزل مرسي وبالتوازي مع تظاهر واعتصام الملايين من مؤيدي مرسي للمطالبة بعودته والتمسك بشرعيته، بدا واضحاً أن السلطة الجديدة تدرك دور الإعلام في تثبيت وجودها، فقررت إغلاق القنوات المؤيدة لمرسي أو المتعاطفة معه، وأطلقت العنان لحملة واسعة من التحريض مهدت لها باتهامات حمّلت الإخوان المسلمين المسؤولية عن أخطاء الحاضر وحتى الماضي¹⁰.

اعتمدت وسائل الإعلام المصرية الهجوم المنظم والمستمر على الرئيس مرسي وجماعة الإخوان طوال عهده، واعتمدت على آلية تحليل الخطاب الإعلامي في تلك الفترة، حيث حرصت على تحميل مرسي والإخوان مسؤولية أيّ إخفاق أو سلبيات، حتى لو كانت مزمنة ومتوارثة منذ عهد مبارك. لكن أكثر الشائعات خطورة وتأثيراً في الفضاء الإعلامي المصري، كانت تلك التي هدفت إلى نزع صفة الوطنية عن مرسي والإخوان،

⁹ المرجع نفسه. وانظر أيضاً:

Site of Freedom House, www.freedomhouse.org/report/freedom-press/2013/egypt#.U77gG_IdXms

¹⁰ الجزيرة.نت، 2013/8/15.

وتصويرهم باعتبارهم عصابة استولت على الدولة لتدميرها، مع أنهم الجهة الوحيدة التي فازت في انتخابات حرة نزيهة منذ نحو ستين عاماً، بينما كان أصحاب الشائعات من فلول نظام مبارك الديكتاتوري، ومن الموسيقين للانقلاب على الديمقراطية. شائعات لم تهدف فقط إلى إسقاط الإخوان وتهيئة الساحة للسياسي لتصدر المشهد، بل استخدامها بعد ذلك عند اللزوم في تثبيت حكم السيسي ومحاولة احتواء أي إخفاقات يواجهها¹¹.

ونشرت هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) British Broadcasting Corporation (BBC) تقريراً مطولاً عن دور الإعلام في الانقلاب على الرئيس مرسي، خصوصاً فيما يتعلق بإشعال نقمة المصريين على الحكومة، وجاء فيه أن أنصار مرسي والرافضين للانقلاب، قالوا إن الإعلام الخاص ممول من رجال أعمال ارتبطوا بنظام الرئيس المخلوع حسني مبارك، وضدهم قضايا فساد كبيرة، وإن هذه القضايا من أهم أسباب معاداة الإعلام الخاص لنظام الحكم الجديد. وكشف التقرير أن رجال الأعمال يسيطرون على معظم الفضائيات والصحف الخاصة في مصر، ودائماً ما يتهم الإعلام الخاص بأنه موال لمبارك بسبب العلاقات التي كانت تربط رجال الأعمال بنظام مبارك وبسبب ملاحقة بعضهم بعد ثورة 25 يناير. فمالك قناة دريم هو رجل الأعمال أحمد بهجت، وصاحب قنوات سي بي سي هو رجل الأعمال محمد الأمين، وقناة التحرير يمتلكها رجل الأعمال سليمان عامر، الذي أصدر القضاء قراراً بمصادرة أمواله باعتباره متهماً مع وزير الزراعة الأسبق يوسف والي في قضية إهدار ثروة مصر الزراعية. وقناة صدى البلد يمتلكها رجل الأعمال محمد أبو العينين، القيادي السابق في الحزب الوطني الديمقراطي الذي كان يتزعمه مبارك. وقد تحدث الرئيس المصري المؤقت عدلي منصور في 2013/7/4، في أول ظهور رسمي له بعد الانقلاب، عن دور الإعلام خلال فترة حكم مرسي، وقال "إن الإعلام كان مشعلاً لأضواء الطريق للشعب وكشف سوءات النظام السابق"¹².

وكان النموذج الأبرز لانتقاد مرسي في الفضائيات هو برنامج "البرنامج"، الذي تحول صاحبه باسم يوسف خلال عامين من أحد الهواة الذي ينتج فيديوهات ساخرة

¹¹ أسامة الرشيدى، سلاح الشائعات (1-2).. في خدمة السيسي قبل الانقلاب وبعده، صحيفة العربي الجديد، لندن، 2015/7/29، انظر: <http://bit.ly/1S4Wonu>

¹² موقع شبكة رصد، 2013/7/11، انظر: <http://rasd.com/1-66656.htm>

وينشرها على موقع يوتيوب إلى واحد من أهم مئة شخصية في العالم وفق مجلة تايم الأمريكية، وهو يواجه اتهامات قضائية باهانة الرئيس مرسي وازدراء الأديان. اعتاد يوسف تناول تصريحات وقرارات وتصرفات مرسي بطريقة ساخرة، وتحول برنامجه إلى مصنع للنكات ضدّ مرسي خلال فترة حكمه. وانفرد أكثر من مرة بكشف تجاوزات بعض المتحدثين في القنوات الإسلامية وتسليط الضوء على مواقف سببت إحراجاً للرئيس المعزول. وتعمّد يوسف إظهار مرسي غير قادر على إجادة اللغة الإنجليزية عندما خلط العربية بالإنجليزية في حديث للجالية المصرية بألمانيا، واستخف بتظاهرات الإسلاميين المؤيدين لمرسي، وقال إن موقع تظاهرات رابعة العدوية ليس ميداناً وإنما مجرد إشارة مرور¹³.

بعد غياب أربعة أشهر، بعد عزل الرئيس مرسي، بثّ يوسف الحلقة الأولى من الموسم الجديد لبرنامجه على قناة سي بي سي في 2013/10/25، التي سخرت من نظام ما بعد مرسي وممن يبالغون في التغنيّ به، وتضمن البرنامج إشارة مازحة إلى عزل مرسي باعتباره ”انقلاباً“. وفيما كان المشاهدون ينتظرون الحلقة الثانية بعد أسبوع، أصدرت القناة بياناً قبل دقائق من البثّ المقرّر للحلقة قالت فيه إنه تمّ وقف البرنامج بسبب انتهاكه السياسة التحريرية للقناة. انتقل يوسف إلى قناة أم بي سي مصر، وبثّ الحلقة الأولى من برنامجه عليها في 2014/2/7. غير أنه بعد فوز عبد الفتاح السيسي في الانتخابات الرئاسية أعلن يوسف في 2014/6/2 أنه سيتم وقف البرنامج¹⁴. وبالتالي تمّ استبعاده بعد أن خدم أغراض الانقلاب على الديمقراطية، وشوّه صورة مؤسسة الرئاسة، ولم يُسمح له بممارسة أيّ دور من هذا النوع في عهد السيسي. مع الإشارة إلى أن مرسي هو الرئيس الوحيد في التاريخ المصري الذي تعرض في أثناء حكمه لهذه الحملة من الإهانة والسخرية، مع أنه الرئيس الوحيد المنتخب ديموقراطياً. وفي المقابل وقفت وسائل الإعلام إلى جانب الحكام الديكتاتوريين والفاستدين في أثناء حكمهم....

¹³ المرجع نفسه.

¹⁴ رشا عبد الله، مرجع سابق.

اعتمدت الشائعات في عهد مرسي على ثلاث استراتيجيات رئيسية، هي¹⁵:

1. الطعن في شرعية مرسي:

منذ انطلاق جولة إعادة لانتخابات الرئاسة في سنة 2012، نشر الإعلام المصري عدة شائعات كان محورها فكرة تفوق شفيق في النتيجة النهائية، وأن جماعة الإخوان تهدد بإحراق البلاد وإغراقها في الفوضى إذا تم إعلان فوز شفيق. يمكن في هذا الإطار رصد الشائعات التي أطلقها عدد من الإعلاميين قبل إعلان النتيجة للإيحاء بفوز شفيق، مثل التي أطلقها مصطفى بكري عن زهاب قوات من الحرس الجمهوري لمنزل شفيق لتأمينه. لم تتوقف هذه الشائعات حتى بعد إعلان النتيجة رسمياً، وظلّ الإعلاميون يلحون عليها بصورة دورية، مؤكدين أن تهديدات الإخوان دفعت المجلس العسكري إلى إعلان فوز مرسي. لكن هذه الاتهامات خفت كثيراً بعد عزل مرسي وتولي السيسي منصب الرئاسة، حيث من الطبيعي أن يسعى السيسي لتأكيد شرعيته مقابل أي شرعية أخرى، سواء كانت لمرسي أم لشفيق، وإذا سمح بنشر هذه الشائعات مرة أخرى فإنه بذلك يطعن في شرعيته هو ويؤكد أحقية شفيق بمنصب الرئاسة. مع الإشارة إلى أن الطريقة التي تمت فيها عملية فرز الأصوات كانت عن طريق إعلان النتائج في اللجان الانتخابية أولاً بأول بطريقة شفافة ونزيهة، يحول دون حدوث أي عملية تزوير، بالإضافة إلى المشاركة الشعبية الواسعة.

2. الطعن في وطنية مرسي والإخوان:

احتوت على العديد من السياسات الفرعية، وهي:

العمالة والجاسوسية: ارتبطت تلك الشائعات بخطاب الثورة المضادة الذي أراد تصوير ثورة 25 يناير باعتبارها مؤامرة خارجية، وتعتمد على سردية مفادها أن جماعة الإخوان نسقت مع حركة حماس وحزب الله لاختراق الحدود ومهاجمة السجون وأقسام الشرطة لصنع حالة من الفوضى للإطاحة بنظام مبارك والإفراج عن قيادات الإخوان في السجون. وتم التركيز على مرسي ليس باعتباره رئيساً للجمهورية، بل باعتباره هارباً من السجن وجاسوساً ومتخابراً مع دول أجنبية، وهو السيناريو الذي تم تحويله بعد ذلك إلى قضية يُحاكم مرسي بشأنها. ويصر عدد من المذيعين المرتبطين

¹⁵ أسامة الرشيدى، سلاح الشائعات (1-2).. في خدمة السيسي قبل الانقلاب وبعده.

بالنظام على وصف مرسي بلقب "الجاسوس". كما قامت إحدى الصحف بنشر تفرغ لما قالت إنها مكالمات بين قيادات في جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس، دون أن تقدم أي تسجيل لهذه المكالمات المزعومة، واحتوى التفرغ على اتهامات صريحة للإخوان وحماس بالتورط في التخطيط لموقعة الجمل. ووجدت هذه الاتهامات صدى كذلك لدى قطاعات من الشعب المصري. وقام الإعلام بعرض مكالمة مرسي مع قناة الجزيرة في 2011/1/30 باعتبارها دليل إدانة له، بالرغم من أنها دليل براءة، فمرسي قال خلال المكالمة إنه مستعد لتسليم نفسه للسلطات لكنه لا يعرف إلى أين يتوجه، كما أن مرسي نفسه جلس مع عمر سليمان في أثناء الثورة ولم يقل أحد إنه مطلوب للعدالة. وذكرت وسائل الإعلام أن مرسي اتصل خلال المكالمة بهاتف من نوع "الثريا" المتصل بالأقمار الصناعية، حصل عليه من حماس، بالرغم من أن الاتصالات في ذلك الوقت كانت قد عادت والمكالمة تمت من هاتف عادي.

وعند النظر إلى هذه الشائعات مجتمعة سيتم اكتشاف حجم تناقضها، وأن لا أساس لها من الصحة، وأنها كذب وافتراء. فمرسي والإخوان وفقاً لهذه الشائعات عملاء لكل من: حماس، وحزب الله، وإيران، والولايات المتحدة، و"إسرائيل"، لكنها بالرغم من ذلك وجدت من يستمع لها ويصدقها، وهو ما يفسره أستاذ الإعلام في جامعة الأزهر أحمد سمير بأن:

الشائعات كانت تنطلق من جميع وسائل الإعلام المصرية المؤثرة تقريباً، كما أن الجمهور الراض للإخوان كان من السهل أن يصدق مثل هذه الشائعات، كما أن نسبة كبيرة من الجمهور المصري يتعامل مع إعلام بلاده بنوع من افتراض المصادقية والصدق، إذ إن غالبية المتعاطين مع الإعلام ليسوا مثقفين أو لديهم المعرفة التي يستطيعون من خلالها التحليل والتفكير.

التأمر لإسقاط الدولة بعد تولي مرسي منصب الرئاسة: المتابع لخطاب الإعلام المصري في عهد مرسي، يجد أن كل الشائعات والمعلومات المفبركة التي تنشرها بانتظام كان لها أصل قوي قبل الانقلاب، ومنها شائعة نشرتها صحيفة الوطن حول تأمر الإخوان لتفكيك الجيش المصري عن طريق التعاون مع تنظيم القاعدة وأنصار بيت المقدس لتحقيق حلم الخلافة. وبعد اختطاف سبعة جنود مصريين في سيناء، في عهد مرسي، اتهمت الصحف والفضائيات مرسي بالتنسيق مع الخاطفين والتخطيط معهم لإحراج الجيش ووزير الدفاع عبد الفتاح السيسي. وأكدت وسائل الإعلام أن الإفراج عن الجنود

كان في إطار صفقة بين مرسى والإخوان من جهة، والخاطفين من جهة أخرى، تقضي بعدم ملاحقتهم. وهو ما ثبت عدم صحته، حيث استخدمت هذه الدعاية في الانقلاب على الرئيس الشرعي، والذي ترأسه وزير الدفاع نفسه.

بيع البلاد إلى الأجنب: واتهم الإعلام الإخوان ببيع منطقة حلايب وشلاتين إلى السودان، وبيع سيناء لإقامة وطن قومي للفلسطينيين، وبيع قناة السويس إلى دولة قطر، وبيع مياه النيل إلى "إسرائيل"، والتساهل في موضوع سد النهضة مع إثيوبيا. ووصلت الشائعات في هذا المجال إلى درجة اتهام مرسى بمحاولة بيع الأهرامات لدولة قطر¹⁶. كما اتهم الإعلام خيرت الشاطر، نائب المرشد العام لجماعة الإخوان، بالاتفاق مع دولة قطر على شراء منطقة ماسبيرو بالكامل، بما فيها مبنى الإذاعة والتلفزيون الذي يحتوي على التلفزيون الرسمي المصري. وهو ما دفع صالح بن عفصان، رئيس تحرير صحيفة الراية القطرية، إلى إبداء استغرابه من محاولات الإعلام المصري في عهد مرسى تصوير قطر بأنها عدوة لمصر، وترويج الشائعات غير الصحيحة عنها. كما وقعت إحدى الصحف في خطأ فادح، عندما زعمت أن مرسى وافق على مقترح تركي يتضمن التنازل عن حقوق مصر في حقول الغاز في البحر المتوسط، لكن السيسي رفض التقرير في حقوق مصر وأجبر مرسى على التراجع عن هذا المخطط، وذكرت الصحيفة أن تاريخ الواقعة يعود إلى آذار/ مارس 2012، أي قبل رئاسة مرسى وقبل تولي السيسي منصب وزير الدفاع، أي في عهد المجلس العسكري. ولم تقترن هذه الإشاعات بأدلة، كما لا يمكن تقبلها من الناحية المنطقية أو العقلية، بالإضافة إلى نفيها رسمياً، ولكن المشكلة ليست في النفي أو الإثبات، وإنما في تثبيت الإشاعة، وتصديرها للرأي العام والمواطن المصري البسيط على أنها الحق المبين، والحقيقة المطلقة، حتى يتم التغطية والتعظيم على النتائج الإيجابية لزيارات مرسى الخارجية.

التسفيه: "مرسى لا يجيد التحدث باللغة الإنجليزية"، "مرسى فاضحنا في كل مكان"، هي التعبيرات الأشهر على ألسنة معارضي مرسى، وكان لبرنامج باسم يوسف الدور الأبرز في عملية التسفيه المستمرة طوال عام كامل. وفي ظاهرة غير مسبوقة، تناول عدد من الإعلاميين على مرسى في أثناء رئاسته، وقاموا بسببه بالعديد من الألفاظ دون أن يتعرض لهم أحد، مثل: فاشل، وكذاب، وغبي.

¹⁶ للمزيد شاهد فيديو حقيقة بيع سيناء وحلايب وشلاتين أيام مرسى، موقع يوتيوب، في:

<http://bit.ly/2394bZA>

تشير عملية التسفيه هذه الكثير من الأسئلة، فليس شرطاً أن يجيد رئيس الجمهورية اللغة الإنجليزية، مع أن الرئيس مرسي أفضل بشكل كبير من السيسي ومبارك وعبد الناصر في اللغة الإنجليزية، والعالم مليء برؤساء لا يجيدون غير لغة بلدهم، كما أن مرسي يجيد اللغة الإنجليزية باعتراف باسم يوسف نفسه بعد حلقاته التي سخر فيها من لغته. لكن الإعلام قدم هذه المعطيات لإعطاء صورة عن مرسي باعتباره محدود القدرات والإمكانات ولا يصلح رئيساً، بغض النظر عن سياساته ومدى نجاحها أو فشلها.

3. تشبيه مرسي بمبارك والإخوان بالحزب الوطني:

”مرسي فعل ما لم يفعله مبارك“، ”جرائم مرسي فاقت جرائم مبارك“، لم تكن مجرد تصريحات على لسان شخصيات معارضة للإخوان مثل رفعت السعيد، بل كانت استراتيجية كاملة اتبعتها الإعلام عبر آلية بثّ الشائعات لإقناع الجمهور أن أخطاء الإخوان خلال عام واحد فقط من حكمهم فاقت أخطاء وخطايا عصر مبارك الذي امتد لثلاثين عاماً كاملة. كما ادعى الإعلام وجود 13 ألف ”إخواني“ في مناصب متنوعة في الدولة تمّ تعيينهم بعد فوز مرسي بالانتخابات الرئاسية.

كما تمّ نشر شائعات حول السلوكيات الشخصية لأسرة مرسي، منها نشر خبر عن مشاجرة بين نجل مرسي وأحد الضباط تطورت إلى سباب من الأول تجاه الأخير. وشائعة ثانية عن خطوبة نجل مرسي على ابنة هشام قنديل للإيحاء بتزاوج السلطة كما كان يحدث في عصر مبارك. كما نشر الإعلام شائعة عن رحلة قامت بها زوجة مرسي ونجله إلى طابا وادعى أنها كلفت 6 آلاف دولار في الساعة من خزينة الدولة، بالرغم من أنها كلفة غير منطقية، كما أن خزينة الدولة لم تتحمّل شيئاً من كلفتها. وبعد تعيين نجل مرسي في وظيفة بوزارة الطيران براتب 1,200 جنيه مصري (نحو 179 دولار)، انطلق الهجوم الإعلامي على مرسي وفساده، وتمّ تشبيه نجله بجمال مبارك، والتقط الإعلام شائعة نشرت على مواقع التواصل الاجتماعي تفيد بأن راتب الوظيفة 38 ألف جنيه (نحو 5,671 دولار) ونشرها باعتبارها حقيقة، وقارن بين هذا الراتب وأحوال الغالبية العظمى من فقراء المصريين، لاستفزازهم وتصوير مرسي باعتباره مبارك جديد¹⁷.

¹⁷ معدل سعر صرف الجنيه المصري مقابل الدولار الأمريكي في 2013/2/15 يساوي 0.14925.

واختلاف مصير مرسي والإخوان عن مصير مبارك والحزب الوطني يؤكد عدم صحة المقارنة بينهما في ما سبق، ففي الوقت الذي حصل فيه مبارك ورموز نظامه على أحكام متتالية بالبراءة في القضايا التي يحاكمون فيها، وخروجهم جميعاً من السجن، حكم على مرسي وقادة الإخوان وأنصارهم بأحكام قاسية، تنوعت من الإعدام شنقاً إلى أحكام مشددة بالسجن تصل إلى المؤبد، وبعض هذه الأحكام صدرت من الجلسة الأولى أو الثانية فقط، في الوقت الذي امتدت فيه محاكمة مبارك ورموز نظامه لأعوام. وبالرغم من تنوع الاتهامات والقضايا التي يحاكم فيها الإخوان، إلا أنها تخلو من أي تهم تتعلق بالفساد المالي، أو الاختلاس، أو الرشوة، أو الاستيلاء على المال العام، عكس مبارك ورجاله.

رابعاً: الإعلام في عهد عدلي منصور (2013/7/3-2014/6/8):

دخل المشهد الإعلامي في مصر مرحلة جديدة بالغة الدلالة والخطورة بعد 2013/6/30، وما أعقب ذلك من عزل الرئيس محمد مرسي، وبدء حملة من الملاحقة والمطاردة لكل مناصري الإخوان المسلمين، فمنذ ذلك التاريخ تحول الإعلام بشكل واضح إلى أداة صريحة في الصراع السياسي بين السلطة الانتقالية الجديدة وبين الإخوان المسلمين وأنصارهم. حيث قام الجيش المصري بإغلاق القنوات الإسلامية مصر 25، والحافظ، والناس، والرحمة، في غضون ساعات من عزل مرسي، كما تمت مدهامة قناة الجزيرة مباشرة مصر، فيما كانت تبث على الهواء، واعتُقل خمسة موظفين فيها. كما فرضت الرقابة على نحو عشر مؤسسات إعلامية، بينما تعرضت ست مكاتب أخرى للمدهامات. واتهمت السلطات المصرية وسائل الإعلام الأجنبية بتقديم تغطية منحازة، وأصدرت الهيئة العامة للاستعلامات المصرية التابعة لسلطة الانقلاب بياناً في 2013/8/17، نددت فيه بما وصفته بغياب الحيادية لدى وسائل الإعلام الخارجية، والتي "تغطي الأحداث بطريقة منحازة لصالح الإخوان المسلمين، وفي نفس الوقت تغض الطرف عن أعمال العنف والإرهاب التي تقوم بها هذه الجماعة بهدف تخويف وترهيب المواطنين". كما اتهم البيان بعض وسائل الإعلام الدولية بتبني أجندة سياسة معينة "تجاهل حقائق الأوضاع في الشارع المصري وإغفال توصيف ما حدث في

30 حزيران/ يونيو بأنه تعبير عن إرادة شعبية خرجت بالملايين عبرت عن نفسها في شوارع مصر¹⁸. وبدورها تكون الهيئة العامة للاستعلامات المصرية التابعة لسلطة الانقلاب قد تجاهلت الإرادة الشعبية التي عبرت عنها الملايين في ميداني رابعة والنهضة وغيرها....

وتحولت بعض وسائل الإعلام في مصر لأدوات تستهدف فصيل بعينه هو جماعة الإخوان المسلمين وأنصارها، من خلال شيطنة هذه الجماعة ووصمها بكل ما هو قبيح، بل وصل الأمر لنزع الوطنية عن كل من ينتمي إليها. وأسهم في ذلك موقف السلطة الانتقالية المتشدد تجاه جماعة الإخوان واتهامها بالجوء للعنف والتخريب في مواجهاتها مع السلطة. وبلغ هذا الموقف ذروته في إعلان الإخوان "جماعة إرهابية"، وهو الموقف الذي وقّر الغطاء السياسي وربما "الأخلاقي" للإعلام للهجوم على الإخوان. فقد مُرست كافة أشكال الإرهاب والإقصاء الإعلامي ضدّ الإخوان تحت غطاء اتهامهم بـ"الإرهاب". وعلى الرغم من أن خريطة المستقبل التي أعلنها الجيش تتضمن بنداً عن وضع ميثاق شرف إعلامي إلا أن أحداً لم يعد يتذكر ذلك؛ إذ تحولت عقب ذلك كثير من المواد والبرامج التي تُقدّم عبر الإعلام إلى برامج لحملات كراهية وتحريض ضدّ الإخوان تتنافى مع أيّ مواثيق أو معايير مهنية، ما أظهر فشل "غالبية الإعلاميين في الحفاظ على مساحة واضحة من الاستقلال المهني والسياسي أثناء قيامهم بأعمالهم". وكانت نتيجة ذلك تراجعاً لافتاً في القيم المهنية في الأداء الإعلامي، ترافق مع تراجع أكبر في مساحة الحريات الصحفية، ولا سيّما للصحافة التي تقدم رأياً مغايراً لما تريده السلطة أو الإعلام الموالي لها¹⁹.

ورسمت تقارير المنظمات الحقوقية والمعنية بحرية الصحافة صورة قاتمة لواقع الحريات الصحفية والإعلامية، والتي باتت تحت تهديد وقيود غير مسبوقه منذ 2013/7/3؛ إذ قالت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان إنها رصدت 112 انتهاكاً ضدّ الحريات الصحفية من قبل أجهزة الأمن المصرية والمتظاهرين المؤيدين لجماعة الإخوان المسلمين خلال الفترة 2013/8/26-6/26، وقالت الشبكة:

¹⁸ شحاتة عوض، "الإعلام المصري بعد 30 يونيو: أزمة بنيوية أم مرحلة عابرة؟". وانظر أيضاً: موقع الهيئة العامة للاستعلامات، جمهورية مصر العربية، 2013/8/17، في: http://www.sis.gov.eg/Ar/Templates/Articles/tmpArticles.aspx?ArtID=72544#.VoEkU0_GrgY

¹⁹ شحاتة عوض، "الإعلام المصري بعد 30 يونيو: أزمة بنيوية أم مرحلة عابرة؟".

إن القنوات التي تم إغلاقها أغلبها قنوات مناصرة لتيار الإسلام السياسي، وعلى رأسه جماعة الإخوان المسلمين، وبعضها بثت خطابات تحريض وكرهية، لكن المخالفات لم تقتصر على تلك القنوات بل إن هناك مخالفات وجرائم تحريض عديدة ارتكبت من قبل إعلاميين على شاشات بعض القنوات المناصرة للتيار المدني والمستقلة دون أن يتم اتخاذ إجراء قانوني ضدها²⁰.

وأصدرت منظمة مراسلون بلا حدود دفاعاً عن حرية الإعلام Reporters Without Borders, For Freedom Of Information بياناً نددت فيه بما وصفته بالحصيلة الثقيلة للانتهاكات التي طالت الإعلاميين بعد شهرين من سيطرة الجيش على السلطة، وأوضحت، في بيان لها، أنه ”بعد مرور شهرين، اتضح لنا أن حصيلة الانتهاكات الجسيمة في حق الصحفيين والإعلاميين كانت جسيمة بالفعل؛ فمنذ 2013/7/3 قُتل خمسة صحفيين، واعتُقل 80 آخرون بطريقة تعسفية... بينما تعرّض 40 إعلامياً للاعتداء على يد قوات الشرطة أو المتظاهرين، سواء منهم المؤيدون لمرسي أم المناوئون له“²¹.

وأصدر مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان تقريراً وثّق فيه 205 حالات لصحفيين مطليين واجهوا انتهاكات، خلال الفترة 2013/8/30-6/28، ثمانية منهم قتلوا، كان ستة منهم على الأقل يغطون الأحداث. وشملت الانتهاكات مطاردة الصحفيين واعتقالهم وضربهم بشدة أحياناً، والسطو المسلح، وإطلاق الخرطوش، وإتلاف الكاميرات والمعدات. ووثّق التقرير أيضاً 39 انتهاكاً ضد الصحفيين والمراسلين الأجانب، وذكر أن هذا الرقم لا يمثّل الحجم الحقيقي للمشكلة²². كما حذّر المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان Euro-Mid Observer for Human Rights من تنامي بيئة معادية لحرية الصحافة والإعلام في مصر، في ظلّ ما تمارسه السلطات المصرية من ”سياسة قمعية متصاعدة بحق العاملين في مجال الصحافة والإعلام“، داعياً السلطات المصرية إلى إطلاق سراح الصحفيين المحتجزين بسبب نشاطاتهم الصحفية على الفور. وقال المرصد، في بيان له، إن السلطات المصرية ”تتعمد استهداف الصحفيين والإعلاميين

²⁰ ”أيام الحبر والدم: انتهاكات واعتداءات غير مسبوقه ضد الصحفيين في مصر في الفترة من 26 يونيو - 26 أغسطس 2013“، موقع الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، 2013/8/29، انظر: <http://bit.ly/1Pt9Z8F>

²¹ موقع منظمة مراسلون بلا حدود دفاعاً عن حرية الإعلام، 2013/9/2.

²² رشا عبد الله، مرجع سابق.

الذين ينقلون صورة أخرى لما يجري في الشارع غير الصورة التي يريدها النظام“، مشيراً إلى أنه وثق اعتقال 76 صحفياً خلال النصف الثاني من سنة 2013²³. وأشارت منظمة العفو الدولية Amnesty International، في تقرير لها، إلى تزايد المخاطر والقيود على الحريات الإعلامية في مصر، وذكرت أن مصر شهدت تصعيداً خطيراً في الاعتداءات التي تستهدف الحريات الصحفية منذ عزل الرئيس محمد مرسي، لا سيما مع إمكانية إلقاء القبض على الصحفيين بمجرد قيامهم بتغطية أخبار انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها قوات الأمن²⁴.

وأعلنت حالة الطوارئ في شهر آب/ أغسطس 2013 لمدة ثلاثة أشهر في أعقاب عملية الفضّ العنيفة لاعتصامي رابعة والنهضة. وفي أيلول/ سبتمبر 2013، صدر حكم بوقف بثّ قناة الجزيرة مباشر مصر، وثلاث قنوات إسلامية أخرى، هي أحرار 25، والقدس، واليرموك. استشهدت المحكمة بعدم وجود تصاريح بثّ، ما يجعل عمل القنوات غير قانوني، وهو الادعاء الذي جاء بعد أن رأى مسؤولون حكوميون أن الجزيرة تمثل تهديداً قومياً وتشكّل خطراً على الأمن العام والمصالح القومية للبلاد. وفي وقت لاحق من شهر أيلول/ سبتمبر، أغلقت السلطات مكاتب صحيفة حزب الحرية والعدالة²⁵.

وأصبح المشهد الإعلامي غير مهني عموماً، ما عدا بضعة استثناءات. وبالغت معظم وسائل الإعلام المصرية في دعم نظام ما بعد مرسي، في ظلّ وجود بضعة استثناءات فردية تحاول الحفاظ على بعض التوازن. وفي العموم، امتلأت موجات الإذاعة والتلفزيون بالأغاني والبرامج الحوارية التي تمجد الجيش. وعلى مدى أسابيع بعد عزل مرسي، عرض التلفزيون المصري، وكذلك معظم القنوات الفضائية الخاصة، شعاراً يحمل صورة العلم المصري وعبارة ”مصر تحارب الإرهاب“، في إشارة إلى الصراع بين نظام ما بعد مرسي والإخوان المسلمين. ولا يتجنّب معظم مقدّمي البرامج الحوارية التعليقات المتحيّزة والأسئلة الإيحائية، في حين يردّ ضيوفهم الذين يتم اختيارهم بعناية، بإجابات مؤيدة للنظام حصراً. ويتمّ خلط الحقائق بصورة روتينية بالأراء في هذه البرامج ذات الشعبية، التي أصبحت المصدر الرئيسي للأخبار لكثير من المصريين. وقد وصل

²³ موقع المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان، 2014/1/15، انظر: <http://bit.ly/21HJCrv>

²⁴ ”مصر: خارطة طريق إلى القمع: لا نهاية في الأفق لانتهاكات حقوق الإنسان“، موقع منظمة العفو الدولية، 2014/1/23، انظر: <https://www.amnesty.org/download/Documents/8000/mde120052014ar.pdf>

²⁵ رشا عبد الله، مرجع سابق.

الأمر ببعض البرامج الحوارية إلى حدّ شنّ حملة مكثّفة ضدّ النشاط المرتبطين بثورة 25 يناير، حيث وصفتهم بأنهم ”خونة“ و”جواسيس“ و”عملاء لدول أجنبية“. وظهرت محادثات هاتفية شخصية لبعض النشطاء، تمّ تسريبها إلى أحد البرامج الحوارية ثمّ التقطتها بعض البرامج الأخرى، وقد جرت صياغة المحادثات كدليل على أن النشطاء لم يكونوا مواليين لمصر، على الرغم من أن المحادثات نفسها لم تدعم هذا الزعم. وتضمّنت المحادثات المسرّبة في معظمها لأعضاء في حركة شباب 6 أبريل، بالإضافة إلى نشطاء بارزين آخرين²⁶. ومن أبرز الحركات والشخصيات التي تعرضت لحملة مكثّفة غير جماعة الإخوان المسلمين وقياداتها كانت²⁷:

حركة شباب 6 أبريل: تعرضت الحركة لاتهامات عدة، منها الخيانة وتلقي تمويلات من الخارج، والعمل لحساب أجندة خاصة، على الرغم من أن أغلب قياداتها يقعون خلف السجون مثل أحمد ماهر ومحمد عادل.

حركة كفاية: كانت هي الأخرى صاحبة نصيب كبير من الاتهامات بالخيانة والعمل لصالح دول أجنبية، كما تعرض رموزها لاتهامات تنوعت بين الخيانة والانتماء لجماعات إرهابية.

الاشتراكيون الثوريون: لم يكونوا بمنأى بعيد عن الاتهامات بالخيانة والعمالة لصالح أجندة خاصة، بالإضافة إلى تلقيهم تمويلات خارجية لزعزعة الأمن القومي.

الكتلة الإسلامية: وهي تحالف إسلامي أنشئ في 2011/10/23، ويضم أحزاب النور، والأصالة، والبناء والتنمية. وواجهت معظم هذه الأحزاب اتهامات بالخيانة والعمالة ودعم ”جماعات إرهابية“، ويقع أغلب رموزها داخل السجون بعد أن حلّ معظم الأحزاب التي تقوم على أساس ديني، حتى الحزب الوحيد، النور، الذي يعيش في كنف النظام المصري بقيادة السيسي لم ينجو من الاتهامات والتجريح في وطنيته.

وائل غنيم: كان من أول المتهمين بالعمالة والخيانة والعمل لصالح دول أجنبية وزعزعة أمن واستقرار البلاد، إضافة إلى مطالبات بإسقاط الجنسية المصرية عنه.

²⁶ المرجع نفسه.

²⁷ صحيفة المصريون، القاهرة، 2016/1/21، انظر: <http://bit.ly/1rpa3zJ>. وانظر أيضاً: انتقاد صحيفة الوفد، الجيزة، 2016/1/21، في: <http://bit.ly/1sFTTDy>؛ وصحيفة اليوم السابع، القاهرة، 2014/5/12، في: <http://www.youm7.com/story/0000/0/0/-/1660192#.Vw9YY9R94dU>

محمد البرادعي: لم يشفع له دوره الكبير الذي لعبه في عملية عزل الرئيس مرسي، وتعيينه نائباً للرئيس عدلي منصور. فقد بدأ الهجوم على البرادعي بعد استقالته من منصب نائب الرئيس في منتصف آب/أغسطس 2013 اعتراضاً على عملية فضّ اعتصام رابعة العدوية بالقوة. وتمّ اتهامه بالخيانة والعمالة، خصوصاً بعد سفره مباشرة إلى النمسا واستنكاره للتجاوزات التي حصلت خلال عملية الفضّ.

وعادت الصحف المملوكة للدولة مرة أخرى لدعم زعيم واضح يتجلى في نظام ما بعد الرئيس مرسي، فالمواضيع الأكثر شعبية هي تلك التي تورد تفاصيل مؤامرات مزعومة يحيكها الإخوان المسلمون لتقسيم مصر وغزوها، إلى مخططات لإعطاء سيناء لحماس والعناصر التابعة لها. وهو ما نفته كل من جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس، وقالت جماعة الإخوان إنها شبّهات أثّرت منذ وصول الجماعة لسدة الحكم، وإن هذه الشبّهات أثّرت دون أن يقدم واحد ممن أثارها دليلاً واحداً، أو وثيقة واحدة على اتهاماته، واكتفى فقط بالكلام المرسل والتناغم مع البعض لترديد هذه الشائعات على الرأي العام. وأكدت الجماعة على أن ”الإخوان، منذ نشأتهم، وهم لا يقبلون بتهجير الفلسطينيين للبلدان المجاورة، ولا يقبلون بتوطينهم فيها حتى لا تضيع حقوقهم في أرضهم التي اغتصبها الصهاينة، وحتى لا يكونوا عالة على الشعوب الأخرى مما يثير الفتنة والأزمات بينهم وبين السكان الأصليين. ولذا رفض الإخوان ويرفضون توطين أحد غير المواطنين المصري في سيناء الغالية“. وأشارت الجماعة بالمقابل إلى أنها تقدمت بمشروع لتنمية سيناء، وبتوطين 3.5 ملايين مصري فيها... . وبدورها نفت حركة حماس هذه الاتهامات، حيث شدد القيادي في الحركة إسماعيل هنية على أنه ”لا توطين للفلسطينيين في سيناء أو غيرها، وأن الشعب الفلسطيني متمسك بأرضه وعدم التنازل عن شبر واحد منها“، وأن سيناء أرض مصرية وذات سيادة مصرية²⁸.

ومن المؤامرات التي اتهم بها الإخوان المسلمون ما كتبه رئيس تحرير صحيفة الأهرام، وظهرت على الصفحة الأولى منها، تشير إلى تورط الولايات المتحدة في مؤامرة مزعومة مع الإخوان تهدف إلى ”تخريب“ مصر. ما دفع سفيرة الولايات المتحدة لدى مصر آنذاك إلى إصدار ردّ علني، وصفت فيه المقال بأنه ”شائن ومختلق وغير مهني“. وأصبح من الصعب على نحو متزايد بثّ أو نشر الأصوات التي لا تنسجم تماماً مع

²⁸ موقع ويكيبيديا الإخوان المسلمون، انظر: <http://bit.ly/1UTwFAI>

الدعاية المؤيِّدة للنظام. وذكر عادل إسكندر، أستاذ الإعلام في جامعة جورج تاون، "في العموم، غالبية الصحف المصرية تتصرّف في وئام وانسجام مع الجيش... عمداً وعن قناعة... فإذا كنت مع جماعة الإخوان، فالأمر يبدو كما لو كنت من صنف آخر من المصريين"، يؤيد كلامه عنوان إحدى الأغنيات التي انتشرت بصورة واسعة على موجات الأثير لبعض الوقت "أحنا شعب وانتو شعب"، وهي تصنّف الإخوان المسلمين والمتعاطفين معهم كشعب مختلف²⁹.

انسحبت بعض الشخصيات الإعلامية طواعيةً من موجات الأثير؛ حيث انقطع يسري فودة، الذي يقدّم برنامجاً حوارياً على قناة أون تي في عن الظهور على الهواء خلال الفترة 7/9-2013/11/25، وأصدر بياناً في صفحته على فيس بوك Facebook قال فيه: "أسجل تحفّظي وحزني الشديدين لما أراه من تناول إعلامي ضارّ سواء من خارج مصر أو من داخلها، بما في ذلك القناة التي أعمل فيها، إلا من رحم ربي". ولم تظهر ريم ماجد، التي تقدّم برنامجاً حوارياً آخر على القناة نفسها، على الهواء منذ 2013/6/30، وقالت في أواخر آب/أغسطس 2013، في تغريدة لها على موقع تويتر Twitter، إنه لم يتم إيقافها عن العمل أو إجبارها على عدم الظهور على الهواء، ولكن "أحياناً يكون الصمت أصدق إنباءً، فاخترت الصمت لحين إشعار آخر". وغاب برنامج "البرنامج" لباسم يوسف مدة أربعة أشهر بعد عزل الرئيس مرسي. وبعد بثّ الحلقة الأولى من الموسم الجديد لبرنامج على قناة سي بي سي في 2013/10/25، والتي سخرت من نظام ما بعد مرسي وممن يبالبون في التغني به، إذ تضمن البرنامج إشارة مازحة إلى عزل مرسي باعتباره "انقلاباً"، أصدرت القناة بياناً قبل دقائق من البثّ المقرر للحلقة التالية قالت فيه إنه تمّ وقف البرنامج بسبب انتهاكه السياسة التحريرية للقناة. وانتقل يوسف إلى قناة أم بي سي مصر، وبثّ الحلقة الأولى من برنامجه عليها في 2014/2/7، وبعد فوز السيسي في الانتخابات الرئاسية أعلن عن وقف البرنامج³⁰.

1. فبركة وتزييف حقائق في عهد منصور:

لعب الإعلام المصري دوراً مؤثراً في المشهد السياسي المصري، لا يقتصر على التحيز فقط، وإنما يتخطاه إلى ما يقول عنه مراقبون ونشطاء إنه "فبركة وتزييف حقائق". فقد

²⁹ رشا عبد الله، مرجع سابق.

³⁰ المرجع نفسه.

كشفت ناشطون على شبكة الإنترنت أن التلفزيون المصري الرسمي بث مقطع فيديو لشخص توفي نتيجة عمليات تعذيب، وذكر التقرير التلفزيوني أن عدداً من أنصار الرئيس المعزول محمد مرسي قاموا بتعذيبه داخل ساحة اعتصام رابعة العدوية. لكن المفاجأة تمثلت في أن هذا الشخص من أنصار مرسي، ويدعى فريد شوقي، وهو مهندس قدم من محافظة البحر الأحمر "لتأييد الشرعية والمطالبة بعودة الرئيس المنتخب". وتوالت المفاجآت، حيث كشف الناشطون أن الفيديو التقط له في المستشفى الميداني برابعة العدوية، بعد العثور على جثته في أحد الشوارع القريبة من مكان الاعتصام وعليها آثار العديد من الكدمات والصدمات، وذلك في اليوم التالي لما عرف بـ "مذبحة الحرس الجمهوري". ولكي يخفي التلفزيون المصري حقيقة الأمر، أخفى صورة طبيب مستشفى رابعة العدوية الذي كان يشرح سبب وفاة شوقي وحجب الصوت، كما استضاف شخصية لتمثيل دور صديق الضحية ليقول إن معتصمي رابعة العدوية هم من قاموا بتعذيبه وليس قوات الحرس الجمهوري. وذكر شقيق القتيل أن هذا الشخص ليس صديقاً لفريد، وبعد البحث عنه تبين أنه أحد أعضاء حركة تمرد ومن مؤيدي قيام الجيش بعزل مرسي³¹.

ومع توالي مثل هذه الأخطاء الجسيمة في التلفزيون المصري، لم تجد إحدى مذييعات قناة النيل للأخبار إلا أن تتبرأ من المحتوى الإخباري المقدم في نشرات الأخبار في الساعات الأولى من صباح السبت 18 رمضان (الساعة الثانية، والرابعة، والسادسة صباحاً)، والذي أعقب ما سمي بجمعة تفويض الجيش لمواجهة "الإرهاب". وكتبت سها النقاش على صفحتها بموقع فيس بوك إنه "لم يتوفر لهذا المحتوى الإخباري الحد الأدنى من الدقة أو التوازن أو المهنية الذي يكفل تقديم قدر كاف من المعلومات يعتمد عليه، تقدمه قناة مصرية عامة عن أحداث تقع على أرض مصر". وأضافت "وأنا إن يحزنني كثيراً أن أتبرأ من محتوى إخباري يقدم على شاشة قناة النيل للأخبار، القناة التلفزيونية المصرية الوحيدة التي تقدم الأخبار على مدار 24 ساعة، والتي شهدت شخصياً نشأتها عام 1998 مع زملاء جبلي من الكفاءات الإعلامية المميزة، وكان يحدوننا الأمل في أن يكون لمصر على أيدينا قناة إخبارية تليق بمكانتها العالية". وتابعت النقاش تقول: "واليوم، وبينما تمر مصر بمحنة يلعب فيها الإعلام دوراً حاسماً، وددت أن يكون إعلاني هذا نداء

³¹ الجزيرة.نت، 2015/3/30، انظر: <http://bit.ly/25WZUO9>

ينبه إلى الاحتياج الملح، الآن أكثر من أي وقت مضى، لأن يكون في مصر إعلام إخباري يوفر القدر الضروري من المعلومات للمشاهد بأكبر قدر من المهنية والتوازن، مستمداً أولوياته من المصلحة الوطنية العليا لمصر³².

ولم تقتصر "سقطات" الإعلام المصري على الجانب الرسمي منه، وإنما يتعداه وبشكل أكبر إلى الإعلام الخاص. فبالإضافة إلى التحيز الملاحظ مع طرف في المشهد المصري ضدّ آخر، وأخطاء لا تقتصر على بثّ مقاطع فيديو لمظاهرات سابقة لمعارضى الرئيس المعزول محمد مرسي على أنها مباشرة، وذلك من أجل إيهام المشاهد أن الحشود ما تزال تعارضه في الشارع، أطلق عدد من الإعلاميين اتهامات تكاد لا تصدق. ومن هذه الاتهامات ما قاله الإعلامي محمد الغيطي في برنامجه بقناة التحرير، عن أن جماعة الإخوان المسلمين هي السبب وراء سقوط الأندلس! قائلاً إن من يقرأ في تاريخ الأندلس، يعلم أن الإخوان هم السبب وراء سقوطها، وأقسم بالله على ذلك، مطالباً المشاهدين بالتأكد من ذلك عبر كتب التاريخ، وذلك قبل أن يشرع في حملة سبّ متواصلة ضدّ مرسي وقادة جماعة الإخوان³³. مع العلم أن الأندلس سقطت قبل أكثر من 430 عاماً من نشأة جماعة الإخوان!؟

ومن أكثر الأخطاء التي لفتت الأنظار ما بثته قناة سي بي سي الخاصة على أنه نقل مباشر لمظاهرات في ميدان التحرير في 2013/7/26، في أثناء تغطيتها لمظاهرات دعا إليها وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي عرفت بمظاهرات "تفويض الجيش"، إلا أن المفاجأة تمثلت في سماع صوت أذان المغرب قبل موعده الحقيقي بربع ساعة، بالإضافة إلى أصوات المتظاهرين التي ترفع شعار "ارحل.. ارحل"، وهو ما عزاه النشطاء إلى أنها لقطات سابقة، من تظاهرات المعارضين لمرسي في 30 حزيران/ يونيو. أما قناة أون تي في فنقلت مسيرة حاشدة للمتظاهرين بالقرب من مسجد الاستقامة بمحافظة الجيزة على أنها مؤيدة لدعوة السيسي، وأخذ مذيع القناة وضيفه يشيدان بالأعداد الحاشدة في المظاهرة، قبل أن يتنبها إلى أنها مظاهرة مؤيدة لمرسي، وعلى الفور توقف بثّ اللقطات. وبثّ التلفزيون المصري الرسمي لقطات بالطائرة لميدان التحرير ممتلئاً بالمتظاهرين، إلا أن النشطاء قالوا إنها قديمة، وأكدوا أن اللقطات التي بثت كانت نهائية حيث لم تكن

³² المرجع نفسه.

³³ المرجع نفسه.

الحشود بالميدان كبيرة. ودلل النشاط على صدق مقولتهم بأن الشاشة الضخمة التي ظهرت بالميدان في هذه اللقطات لم تكن موجودة من الأساس³⁴.

2. تعامل الإعلام مع فضّ اعتصامي رابعة والنهضة:

تعالّت في الصحف والإعلام داخل مصر دعوات إلى فضّ اعتصامات مؤيدي عودة الرئيس محمد مرسي بالقوة، وتضمّن بعضها تحريضاً على العنف وسفك دماء المصريين. وواجه الإعلام انتقادات عنيفة بسبب خطابه التحريضي والعنصري. وتبنّى الإعلام حملات الشيطنة ضدّ المعتصمين في ميداني رابعة والنهضة؛ حيث وصفهم تارة بالمغييبين والمخطوفين ذهنياً، وتارة أخرى بـ”الإرهابيين المسلحين“، وتارة ثالثة بالقتلة المجرمين الذين يقومون بتعذيب المواطنين ودفن جثامينهم تحت منصة ميدان رابعة³⁵. ونظرت أوساط ثقافية مصرية باستغراب إلى ما تصفه بالضحالة الفكرية لدى بعض النخب التي تتصدر المشهد الثقافي والإعلامي في مصر. وأعربت أوساط حقوقية وثقافية مصرية ودولية عن مخاوفها مما وصفته بأنه إمعان في التحريض والكراهية في وسائل إعلام مصرية وصل حدّ إهانة شرائح واسعة من الشعب المصري³⁶.

وخصّصت نحو 28 قناة مصرية رسمية وخاصة تغطيتها لفعاليات المظاهرات التي خرجت في العاصمة القاهرة والمحافظات الأخرى تجاوباً مع دعوة وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي بالنزول إلى الميادين لتفويضه من أجل مواجهة ما أسماه بـ”الإرهاب“. وألغت هذه القنوات الرسمية والخاصة برامجها الرمضانية المعتادة، وركّزت تغطيتها على فعاليات تلك المظاهرات. وخرجت هذه القنوات تحت شعارات شبه موحدة، فبينما استخدمت القنوات المصرية الرسمية شعاراً موحداً هو: ”مصر ضدّ الإرهاب“، خرجت غالبية القنوات الخاصة بشعارات مشابهة³⁷.

سبقت مجزرة فضّ اعتصامي رابعة والنهضة حالة من التمهيد الإعلامي للجماهير، بهدف إقناعها بضرورة الفضّ العنيف للاعتصامات، حتى لو أدى ذلك لوقوع خسائر

³⁴ الجزيرة.نت، 2013/7/26، انظر: <http://bit.ly/1ZQ4NS0>

³⁵ شبكة رصد، 2015/8/14، انظر: <http://rassd.com/153271.htm>

³⁶ الجزيرة.نت، 2013/8/1، انظر: <http://bit.ly/1WNhhM8>

³⁷ الجزيرة.نت، 2013/7/26.

كبيرة في الأرواح. لذا كان الهدف الأساسي للإعلام المصري منذ الانقلاب وحتى 2013/8/14، هو القضاء على أيّ تعاطف مع المعتصمين وتلفيق اتهامات عديدة لهم تجعل الخلاص منهم أمنية يتمناها ملايين المصريين. وبدأت عملية تشويه الحراك المناهض للانقلاب واعتصام رابعة العدوية منذ الأيام الأولى له، لكنها تصاعدت يوماً بعد يوم حتى وصل التحريض الإعلامي ذروته قبل عملية فض الاعتصام مباشرة، ويُمكن حصر أبرز محاولات التشويه فيما يلي³⁸:

1. في البداية نشرت الصحف أخباراً عديدة عن رغبة المعتصمين في مغادرة ميدان رابعة العدوية، لكن قيادة الاعتصام تمنعهم من الخروج.
2. الاتجار بالأطفال: خرجت بعض وسائل الإعلام بأخبار عن قيام المعتصمين بإحضار أطفال الملاجئ ودور الأيتام لمقر الاعتصام، بالرغم من أن الأطفال كانوا ذاهبين مع أحد مسؤولي الجمعيات الخيرية لشراء ملابس العيد لهم، لكن تمّ القبض عليهم وتلفيق تهم كاذبة لاستغلالها في تشويه الاعتصام.
3. انتشار الأمراض: حاول الإعلام نشر شائعة تفيد بانتشار الأمراض المعدية بين المعتصمين، وذلك لتخويف المتعاطفين والمتضامنين مع المعتصمين من الذهاب إليهم. وتحدث إبراهيم عيسى عن ”الجرب“ الذي انتشر بين المعتصمين.
4. نكاح الجهاد: ظهر محمد الغيطي على قناة التحرير وهو يدعي وجود علاقات جنسية بين المعتصمين وعدد من السيدات السوريات تحت مسمى ”نكاح الجهاد“، غير الموجود أصلاً في الدين الإسلامي، لكنه اعتمد على شائعة أخرى مرتبطة بالثورة السورية.
5. أسلحة كيماوية: في 2013/8/6 خرجت الصفحة الأولى من صحيفة الأخبار المصرية، حاملة عنواناً رئيسياً يؤكد أن المعتصمين في ميداني رابعة والنهضة يمتلكون أسلحة كيماوية، ودخلت صحيفة الوطن إلى الخط لتؤكد أن جماعة الإخوان قامت بنقل أسلحة كيماوية وصواريخ من سورية فجراً إلى ميادين الاعتصام.
6. مجلس حرب في رابعة: نشرت صحيفة الشروق في صفحتها الأولى في 2013/8/6 خبراً رئيسياً، نقلاً عن مصادر مجهولة، بعنوان ”رصد أسلحة ثقيلة في اعتصام الإخوان يؤخر فضه“.

³⁸ العربي الجديد، 2015/8/22، انظر: <http://bit.ly/1S4VPtT>

7. تعذيب وقتلى أسفل منصة رابعة: تناقل الإعلام حكايات كثيرة عن منصة ميدان رابعة، كان أبرزها قيام قيادات الاعتصام بتعذيب عدد من الأشخاص وقتلهم ودفنهم أسفل المنصة، وأكد أحمد موسى المذيع بقناة التحرير وقتها أن المنصة تحتوي أسفلها على "كرة أرضية" لدفن الجثث.

واستمرت هذه الحملة الشعواء عبر عشرات من وسائل التشويه حتى تمّ فضّ الاعتصام بمجزرة تعدّ الأسوأ في تاريخ مصر الحديث. وحتى بعد عملية فضّ الميدان وسقوط آلاف الضحايا، هاجم بعض الإعلاميين رمز "رابعة"، وأكدوا أنه رمز غير مصري، لتجريم أيّ تعاطف إنساني مع المجزرة. وعدّ الإعلام المصري عملية الفض كأنها إنجاز قومي، ولم يرَ في هذه العملية إلا عملية نظيفة، وحاول تقديم المشرفين عليها إلى الشعب على أنهم فدائيون وأبطال. وتعمدت وسائل الإعلام المصرية الشحن والتعبئة ودقّ طبول الحرب مستخدمة كافة الأساليب، حيث تفننت في الكذب مثل الادعاء بوجود جثث أسفل منصة رابعة، وهو الأمر الذي لم يثبت صحته، وذهبت بعض التحليلات إلى تأكيد "فبركة" تلك الصور وتزييفها، مروراً بالادعاء بوجود أسلحة ثقيلة مثل صواريخ الجراد Grad والأسلحة الكيماوية، ووصولاً إلى "جهاد النكاح"³⁹.

ونشرت صحيفة الشروق تحقيقاً في 2013/8/19 بعنوان: "فضّ رابعة والنهضة.. عملية نظيفة في عيون الأمن المركزي"، في حين أجرت صحيفة الوفد حواراً مع قائد عملية فضّ اعتصام رابعة المقدم بهاء الشريف بالصفحة السابعة، في اليوم نفسه، جاء في عناوينه المنسوبة إليه: "الغاز والمياه السلاح المستخدم في فضّ الاعتصام.. القناصة

³⁹ للمزيد انظر هذه النماذج:

<https://youtu.be/MGPRuLzG494>

<https://youtu.be/aOtwKDyvUJI>

https://youtu.be/74F_75a_1PE

<https://youtu.be/oUmlqcEyaeo>

<https://youtu.be/PkmPtYmqj7c>

<https://youtu.be/zJmdy5ShpG8>

<https://youtu.be/k3yFZ4hFd3Y>

<https://youtu.be/gI7XEVRY8DI>

<https://youtu.be/PkmPtYmqj7c>

<https://youtu.be/1PecPg1xDB8>

في العمارات تحت الإنشاء وراء استمرار عملية الفص 15 ساعة.. قناصة الإخوان بادروا بإطلاق النار وقتلوا ضابطين⁴⁰. ونشرت صحيفة الأهرام تحقيقاً صحفياً في 2013/9/6، تؤكد فيه أن الرمز ماسوني، وأن عبدة الشيطان يستخدمون الرمز في طقوسهم، وأن أعضاء الكنيست Knesset الإسرائيلي قاموا برفع أيديهم بـرمز رابعة. وزعمت صحيفة الأخبار في 2013/10/28 أن "إسرائيل" قامت بإطلاق اسم "رابعة العدوية" على أحد الشوارع بمدينة القدس تضامناً مع الإخوان، بالرغم من أن الشارع موجود بالاسم نفسه منذ ثمانينيات القرن الماضي⁴¹.

في المقابل غابت تغطية المظاهرات المؤيدة لمرسى إلى حد كبير عن تغطية القنوات المصرية الرسمية والخاصة، والتي اقتصرت في تغطيتها على عرض لقطات محدودة من ميدان رابعة العدوية ضمن مظاهرات أخرى مؤيدة لدعوة السيسي، وكان التركيز الأكبر في تغطيتها على ميدان التحرير⁴². وذلك بالرغم من استمرار اعتصامي رابعة والنهضة لأكثر من أربعين يوماً بحشود هائلة.

خامساً: الإعلام في عهد عبد الفتاح السيسي (منذ 2014/6/8):

شهد الأداء الإعلامي المصري بعد استلام عبد الفتاح السيسي للرئاسة المصرية في حزيران/ يونيو 2014 تراجعاً كبيراً، حيث شهد ممارسات حادة ومنفلتة. وراوح الإعلام المصري مكانه في نفق عميق، على صعيد التنظيم والأداء والعائد، وتواصلت الانتهاكات بحق عددٍ من وسائل الإعلام والإعلاميين والصحفيين؛ وهي انتهاكات تنوعت بين الاحتجاز، والاعتداء، والاستهداف القضائي، بحسب عددٍ من المنظمات الحقوقية، وبين المنع، والتقييد، وفق عددٍ من الوقائع الموثقة. ومن بين الانتهاكات التي تمّ رصدها، استمرار غلق القنوات والصحف التابعة للتيار الإسلامي، ومنع بعض الكتاب والمذيعين

⁴⁰ شبكة رصد، 2015/8/14.

⁴¹ العربي الجديد، 2015/8/22.

⁴² الجزيرة نت، 2013/7/26.

من تقديم برامجهم، ومصادرة بعض أعداد الصحف وإجبارها على تغيير عناوين معينة أو إزالة مقالات⁴³.

وعكست تصريحات الرئيس عبد الفتاح السيسي المتكررة، بشأن دور الإعلام وأهميته في بناء الدولة الجديدة، حتى قبل توليه السلطة، رؤيةً تنظر للإعلام بوصفه خادماً للسلطة ومكرساً لشرعيتها من خلال إقناع الرأي العام بإنجازات الحكومة والحشد والتعبئة للشعب خلفها. ولعل تصريحه الشهير عن أن "عبد الناصر كان محظوظاً؛ لأنه كان بيتكلم والإعلام كان معاه"⁴⁴ تصريح كاشف في هذا الإطار. فهذه التصريحات المتكررة حول أهمية دور الإعلام وخطورته وضروره أن يكون في صف الشعب، تُظهر توجُّهاً لدى السيسي بضرورة أن يكون هذا الإعلام مسانداً للنظام وداعماً لقراراته⁴⁵. كما سعى السيسي من خلال تعزيز علاقاته بالإعلاميين المؤيدين له ولقائه المتكررة معهم، إلى محاولة ضبط أداء الإعلام، كما يرى البعض، وفق رؤية القيادة السياسية وتجاوباً مع تشخيصها للمصالح الوطنية. كما تُظهر تأكيدات السيسي المتكررة على الحاجة إلى اصطفاف وطني في مواجهة المخاطر التي تواجه الدولة المصرية رغبةً وتوجُّهاً لديه بضرورة قيام الإعلام بدور محوري في تعزيز هذا الاصطفاف. لذلك، بدت السلطة أكثر ضيقاً بأي صوت ناقد، وهو ما تمثّل في تكرار قرارات وقف طباعة الصحف ومصادرتها والتدخل في محتواها، فقد تكرر هذا الأمر مع صوت الأمة، وال صباح، والمصريون، والدستور، والتحرير، والوطن، بل وصل الأمر حدّاً إتلاف نسخ إحدى الصحف بعد طباعتها، وقد دفع ذلك لجنة الحريات بنقابة الصحفيين للتحذير من عودة الرقابة على الصحف وتهديد حرية الصحافة في مصر⁴⁶.

⁴³ ياسر عبد العزيز، حالة الإعلام المصري في السنة الأولى من حكم السيسي، موقع المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2015/7/28، انظر: <http://bit.ly/1U7Ua9n>

⁴⁴ صحيفة المصري اليوم، القاهرة، 2014/8/5، انظر:

<http://www.almasryalyoum.com/news/details/495094>

⁴⁵ ياسر عبد العزيز، مرجع سابق.

⁴⁶ شحاتة عوض، "أزمة الإعلام الخاص بمصر: أكبر من مجرد ضائقة مالية"، مركز الجزيرة للدراسات، <http://studies.aljazeera.net/mediastudies/2015/10/20151022104153294847.htm>، انظر: 2015/10/22 وانظر أيضاً: محمد شومان، أزمة الإعلام المصري إلى أين؟، صحيفة الحياة، لندن، 2015/5/6.

وعلى ضوء الرؤية التي عبّر عنها السياسي لدور الإعلام، يمكن تفسير غلبة الطابع الدعائي لوسائل الإعلام سواء الحكومية أم الخاصة لمصلحة النظام وسياساته، بعيداً عن الالتزام بأي معايير مهنية، وما استتبع ذلك من تغييب لأي صوت معارض للسلطة؛ بالإضافة إلى حملات التضيق والانتهاكات بحق العديد من الصحفيين والإعلاميين المعارضين للنظام. ووفق هذه الرؤية أيضاً فإن السياسي يعدّ وسائل الإعلام، وما توفره له من دعم وتأييد، بديلاً عن المؤسسات السياسية كالأحزاب أو حتى مؤسسات الدولة كالبرلمان؛ ما جعل من الإعلام أداة سياسية في يد السلطة، وهو ما ترتّب عليه هيمنة إعلام الصوت الواحد وسيطرة الطابع الدعائي على حساب الدور المهني، لا سيّما في ظلّ دعوات الاصطفاف الوطني ضدّ خطر ”الإرهاب“. ولجأ نظام السياسي إلى سياسة العصا والجزرة مع الإعلام، فالإعلام المؤيّد للنظام هو إعلام وطني ومخلص، بينما الإعلام المعارض هو إعلام متهم في نظر السلطة وأنصارها بالخيانة والعمالة ولا بدّ من التعامل معه بصورة خشنة تتراوح بين مصادرة الصحيفة، أو وقف طباعتها، أو منع الإعلانات عنها، أو اعتقال الصحفي نفسه⁴⁷.

كما كشفت تسريبات منسوبة للواء عباس كامل، مدير مكتب السياسي، والعقيد أحمد علي، المتحدث السابق باسم الجيش، عن توجيه الأول تعليمات إلى الإعلاميين للدفاع عن السياسي خلال حملة ترشحه للرئاسة. وذكر مدير مكتب السياسي اجتماعه مع عدد من الإعلاميين لمطالبتهم بدعم السياسي في الانتخابات الرئاسية، من بينهم أسامة كمال، ونائلة عمارة، ومحمود مسلم، ويوسف الحسيني، وإبراهيم عيسى، وأحمد موسى، ومحمود سعد، ووائل الأبراشي، وعزة مصطفى، ورولا خرسا، وإبلاغهم بأن السياسي ”مستاء جداً وصعبان عليه إن الناس تعمل فيه كده“، بعد تضحيته من أجلهم. وخلال المحادثة يلقن عباس المتحدث العسكري (الجانزب للستات، كما وصفه السياسي)، الخطة الكاملة لحملة إعلامية، لـ”تهييج“ الناس لمصلحة السياسي. وتحدث عباس عن الإعلاميين ”بتوعنا“، الذين سيشاركون في الحملة ”التهييجية“ للشعب. وقال: ”لازم الإعلاميين يهيجوا الناس ويقولوا يعجبكم اللي ضحى علشانكم يتقال عليه كده“، وأضاف أنه ”لازم يحفزوا الناس ويعملوا حالة كده، والناس اللي بتتكلم عن العجلة عيب“. ثم تابع عباس إملاءاته للعقيد قائلاً: ”لازم يحفزوا الناس ويقولولهم

⁴⁷ شحاتة عوض، ”أزمة الإعلام الخاص بمصر: أكبر من مجرد ضائقة مالية“.

احموا المرشح بتاعكم. احموا البطل بتاعكم. الراجل اللي ضحى بده [بهذا] كله علشانكم تسيبوه يتعمل فيه كده، كان يقدر يقعد في الجيش محدش يقدر يقرب له، لكنه اختار غير كده ويضحى علشانكم“⁴⁸.

كما أكد الإعلامي توفيق عكاشة وجود علاقة وتعاون بين إعلاميين وأجهزة الأمن المصرية، وقال عكاشة، الذي فاز بمقعد في البرلمان المصري في انتخابات سنة 2015، خلال ظهوره ضيفاً على قناة أون تي في، في كانون الأول/ ديسمبر 2015، إن جميع الإعلاميين هم ”أصدقاء الأمن وكانوا عايزين يطيحوا بالإخوان“، في إشارة للمرحلة التي سبقت عزل الرئيس مرسي، مشيراً إلى أن النظام يتعامل معه الآن على أن دوره قد انتهى. وأضاف مخاطباً الإعلاميين ”هناك أخطاء وأناشدكم مراجعتها والتوقف أمامها“⁴⁹.

وأشار الباحث والمؤرخ السياسي المصري محمد الجوادي، خلال برنامج ”الواقع العربي“ على قناة الجزيرة الفضائية، إلى أن الإعلام المصري جزء من جهاز المخابرات، الذي ليس جهازاً أمنياً صرفاً، وإنما يقوم على إعداد خطابه الأمني، وتسويقه من خلال أدواته للرأي العام. ولفت النظر إلى أن تعويق الانتصار الذي بشرت به الثورة كان هدفاً للمخابرات عبر تلاعب بالعقول تنفذه وسائل الإعلام⁵⁰.

كما اتسعت قائمة المحرومين من الظهور الإعلامي بعد عام من حكم السيسي، سواء في وسائل الإعلام الرسمية أم الخاصة، لتشمل مؤيدين لانقلاب 30 يونيو بدأوا في توجيه انتقادات لنظام السيسي. ومنع عصام الأمير، رئيس اتحاد الإذاعة والتلفزيون، أيّ معارض للسيسي من الظهور على الشاشة، وبالمثل فعلت الفضائيات الخاصة. وضمت قرارات الأمير، الاطلاع بشكل يومي على أسماء الضيوف، ومنع ظهور أيّ ضيف مؤيد أو حتى متعاطف مع الإخوان، إضافة إلى المعارضين لانقلاب 30 يونيو، أو الذين ينتقدون أداء مؤسسات الدولة. وضمت قائمة الممنوعين، القائمة التي توصف بأنها ”الأضخم“ في اتحاد الإذاعة والتلفزيون، أدباء، وسياسيين، ونشطاء، وقيادات

⁴⁸ صحيفة القدس العربي، لندن، 2015/1/22.

⁴⁹ الجزيرة.نت، 2015/12/30، انظر: <http://bit.ly/1Uu4yMg>

⁵⁰ الجزيرة.نت، 2015/9/17، انظر: <http://bit.ly/1UbMfNt>

حزبية. ومن تلك الأسماء بلال فضل، وعمرو حمزاوي، وفهمي هويدي، وعلاء الأسواني، وباسم يوسف، وريم ماجد، وزيايد العليمي، وأحمد فوزي، وعبد المنعم أبو الفتوح، ومحمد سليم العوا، وخالد داوود⁵¹.

وذكرت لجنة حماية الصحفيين في حزيران/ يونيو 2015 أن السلطات المصرية تحتجز 18 صحفياً على الأقل في السجون المصرية لأسباب مرتبطة بتغطيتهم الصحفية، ويواجه معظمهم اتهامات بالانتماء لجماعة الإخوان المسلمين، وهذا، بحسب لجنة حماية الصحفيين، رقم قياسي منذ سنة 1990، و”هذا أعلى عدد للصحفيين السجناء في مصر منذ بدأت لجنة حماية الصحفيين في عام 1990 تسجيل بيانات حول الصحفيين المحتجزين“. وقالت اللجنة ”غالباً ما يكون اعتقال الصحفيين في مصر عنيفاً، ويتضمن الضرب، وإساءات أخرى، ومداهمات لبيوتهم ومصادرة مقتنياتهم“⁵².

وسائل الإعلام تهاجم مرسى وتبرر للسياسي:

بعد مرور مئة يوم من حكم السيسي، تحدثت وسائل الإعلام المصرية عن إنجازاته بصفته ممثلاً عن السلطة التنفيذية والتشريعية، وتحدثت من نقطة البداية عن إنجازات السيسي، فمنهم من رأى أن هذه الإنجازات يستحيل تحقيقها في أي عهد آخر، فيما رأى آخرون أن المئة يوم ليست بمثابة حكم نهائي أو حساب ختامي يعبر عن قدرة السيسي على إدارة البلاد. ففي حلقة 2014/9/14 من برنامج ”بصراحة“ أعلنت الإعلامية إيمان عز الدين، عن رأيها بشكل مباشر في السيسي، وقالت ”الإنجازات لا تُعدّ، وكانت بدايتها مع قناة السويس، مروراً بمشروع تنمية الساحل الشمالي، والمثلث الذهبي، واستصلاح 4 ملايين فدان [نحو 16 ألف كم²]“، موضحة أن ”ما حدث هو نتاج طبيعي للثقة المتبادلة بين المصريين وقائدهم الذي لم يتعهد بأي شيء، بخلاف الرئيس الأسبق محمد مرسى الذي وعد فأخلف“، بحسب وصفها. وأكملت قائلة:

⁵¹ موقع مصر العربية، 2015/7/15، انظر: <http://bit.ly/2395TKp>

⁵² هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، 2015/6/25، انظر:

http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/06/150625_egypt_journalists_under_threat

الرئيس كان لديه القدرة على تخفيف الدعم على المواد البترولية على خلاف ما حدث مع الرئيس السادات، مع كامل الاحترام له عندما حاول إلغاء الدعم، خرجت ضدّه المظاهرات فتراجع عن القرار، ومن يومها لم يستطع أحد من المسؤولين أن يقترب من الدعم، فضلاً عن اتخاذ قرار للسياسي بتحديد الحد الأقصى والأدنى من الأجور، وهو ما يعكس أنه رئيس قوي لا يخشى انقلاب كبار موظفي الدولة عليه.

وأضافت أنه ”وضع منظومة جديدة للخبز والتموين تثبت نجاحها يوماً بعد الآخر“، على حدّ قولها⁵³.

وفي حلقة لبرنامج ”30/25“ عبر فضائية أون تي في، في 2014/9/8، ألقى إبراهيم عيسى اللوم على الرئيس المعزول محمد مرسي، موضحاً أنه وضع نفسه في ”مزق“ المئة يوم، وتعلم من تلك الأخطاء كلاً من السيسي وحمدين صباحي عندما ترشحا لمنصب الرئاسة، لأنهما لم يعدا الشعب بشيء، وأظهرا حقيقة الوضع الصعب التي تمر به مصر بشفافية. وفي حلقة 2014/9/15 من برنامج ”القاهرة اليوم“ المذاع عبر شبكة أو أس أن الفضائية، قال عمرو أديب، إنه ”من أهم السلبيات التي واجهت الرئيس السيسي، خلال المئة يوم الماضية، هي ظاهرة انقطاع الكهرباء“. إلا أن الإعلامية رانيا بدوي، التي شاركت أديب تقديم البرنامج، أضافت، ”مرسي هو من تسبب في ورطة المئة يوم، عندما أعلن عن برنامجه الرئاسي“. وأشارت إلى أنه ”يصعب تقييم الرئيس السيسي في مئة يوم، وهو يدير دولة بحجم مصر، بما تمر به من أزمات وظروف سياسية مضطربة، وإذا تحدثنا عن تحسن الظروف خلال تلك الفترة، وأن نسبة القلق من المستقبل قد انخفضت لدى المصريين، لا نستطيع أن نقيم ثلاثة أشهر فقط من الحكم، وندعي أنها إنجازات“⁵⁴.

وفي حلقة 2014/9/19 من برنامج ”من الآخر“، الذي يقدمه الإعلامي تامر أمين، عبر فضائية روتانا مصرية، قال إن ”المئة يوم الأولى من عمر أي رئيس جديد لا تعد مناسبة

⁵³ صحيفة الشروق، القاهرة، 2014/9/22، انظر: <http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=:22092014&id=1611e701-d754-4c38-8b22-5c408770f87c>

⁵⁴ المرجع نفسه.

مهمة، ولكن لها دلالة سياسية أكثر منها تاريخية، وذلك لأن معظم الحكومات والرؤساء عندما يتولون مناصب مهمة جديدة جرى العرف على إقامة إحصائيات خاصة بهم“. وأوضح أمين أن ”المئة يوم بمثابة ترمومتر للاتجاه العام للرئيس الجديد في إدارة الدولة، وبالتالي، فإن نتاج هذه الفترة ليس له أهمية“، مشيراً إلى أن ”حلّ الأزمات المستعصية في مصر لا يمكن أن تظهر في مئة يوم، لأنها تحتاج ساحراً من السماء، ولكنها تعدّ بوصلة، لمعرفة اتجاه الرئيس في الحكم ناحية الصواب أو الخطأ“⁵⁵.

وفي حلقة 2014/9/19 من برنامج ”صحّ النوم“ عبر فضائية التحرير، قال الإعلامي محمد الغيطي ”كثيرون قارنوا بين المئة يوم لحكم السيسي ومرسي، ومن المؤكد أن الفرق شاسع“. وأشاد الغيطي بالسيسي، موضحاً أن ”مظاهر الحياة في مصر اختلفت خلال المئة يوم“، موضحاً أن ”طوابير الخبز وأزمات أنابيب البوتاجاز اختفت، فضلاً عن بدء مشروع حفر قناة السويس الجديدة، الذي صدم التنظيم الدولي للإخوان“، بحسب وصفه⁵⁶.

وقال وحيد عبد المجيد، أستاذ العلوم السياسية، إن ”المئة يوم لا تكفي للتقييم، لأنها عادة تكون فترة رمادية في معظم الأحيان، ولا تكفي لتحديد الاتجاه الذي تمضي فيه البلاد، وبالتالي لا يجب على الإعلام التعامل مع ما يترتب على المئة يوم من نتائج وأثار كقاعدة عامة“. وأضاف عبد المجيد أن ”مصر تمر بأصعب مراحل التحول الديمقراطي المحفوف بالمخاطر الداخلية والإقليمية، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى صعوبة التقييم في هذه الفترة القصيرة لكي يتضح الاتجاه ولكي تتبلور السياسات“⁵⁷.

وأشادت وسائل الإعلام بالعام الأول للسيسي وما تحقق فيه من ”إنجازات“. وهو ما يبدو متناقضاً مع ما قام به الإعلاميون أنفسهم في عهد مرسي، لكنه في الحقيقة يعتمد على ما تمّ بثه من شائعات ضدّ الأخير، تجعله لا يدخل في مقارنة مع السيسي. إن إن السيسي، وفقاً لهؤلاء الإعلاميين، رجل وطني خلّص البلاد من خطر داهم يتمثل في مرسي والإسلاميين، الذين كانوا يريدون بيع البلاد، وتفكيك الجيش، وإدخالها في

⁵⁵ المرجع نفسه.

⁵⁶ المرجع نفسه.

⁵⁷ المرجع نفسه.

دوامه من الحرب الأهلية، وبالتالي يجب الحديث معه على هذا الأساس وإعطاء الفرصة كاملة له حتى لو كان هناك تقصير فادح في الملفات الخدمية، لأن مرسى "الجاسوس المتخابر العميل" لم يتم عزله لهذه الأسباب، بل لأسباب أخطر بكثير. واعترف خالد أبو بكر، أحد هؤلاء الإعلاميين، بهذا الأمر عندما أكد أنه لا توجد أي موضوعية في تعامل الإعلام مع السيسي، وأنهم بالفعل يتجاهلون الكثير من السلبيات في عهده بالرغم من الهجوم الشديد على مرسى في الموضوعات نفسها، مُرجعاً سبب ذلك إلى أنهم كانوا "لا يطبقون مرسى"، لأنه "لا يعمل لمصلحة مصر وإنما لمصلحة جماعته، عكس السيسي"⁵⁸.

كما تمّ التنويه بالمشروعات الكبرى التي تمّ تدشينها في عهد السيسي، ونشرت الصحف ما سمّتها "إنجازات السيسي" على عدة أجزاء للإيحاء بكثرتها، واحتوت على أشياء مثل التقاط السيسي لصورة "سلفي Selfie" مع الشباب باعتبارها إنجازاً. بل وقال أحد إعلاميي الانقلاب إنه "ليس من العدل أن نحاسب السيسي بعد عام واحد فقط من حكمه"، عكس ما حدث مع مرسى! وقال عمرو أديب بوضوح إن المعارضين على السيسي ينبغي عليهم الانتظار حتى الانتخابات الرئاسية المقبلة لانتخاب رجل آخر، كما خاطب السيسي في حلقة أخرى من برنامجه معترضاً على تصريح للأخير يقول فيه إنه مستعد للرحيل إذا كانت هناك اعتراضات كثيرة عليه، مؤكداً أن ذلك لا ينبغي أن يكون، وأنه يجب الانتظار لمدة أربعة أعوام كاملة حتى يمكن الحديث عن رحيل السيسي من عدمه. واعتمدت وسائل الإعلام على العديد من الشائعات الإعلامية الأخرى، وهي⁵⁹:

1. توجيه اللوم إلى الشعب وليس إلى السيسي، وأنه لا يجب محاسبة السيسي بعد عام واحد من حكمه، بل يجب محاسبة الشعب. وأن من لا يعجبه الوضع عليه أن يترك البلاد ويبحث عن دولة أخرى يعيش بها.
2. التحذير من رحيل السيسي، والفوضى التي ستنتشر نتيجة لذلك، لدرجة أن مصر ستصبح مثل سورية والعراق.

⁵⁸ أسامة الرشدي، سلاح الشائعات (2-2).. سيناريوهات وهمية لعمليات عنف قبل ذكرى الثورة، العربي الجديد، 2015/7/30، انظر: <http://bit.ly/1XWfzsM>

⁵⁹ المرجع نفسه.

3. التقليل من طموحات الشعب، ودعوته إلى الصبر، والحديث بأن الفترة القادمة ستكون صعبة، لذلك يجب ترشيد الاستهلاك وتحمل الأوضاع الحالية إلى أن تتحسن.

أما العلاقة مع "إسرائيل"، فقد تجاهل الإعلام المصري الدفاع المستميت لـ "إسرائيل" عن السيسي، والإشادة الدائمة به في الإعلام الإسرائيلي، وتم تجاهل الخطاب الذي وجهه السيسي لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتياهو Benjamin Netanyahu، يشكره فيه على تهنئته "الدافئة" له بمناسبة فوزه بالانتخابات الرئاسية في سنة 2014، من الإعلام والإعلاميين أنفسهم الذين هاجموا مرسي على رسالة من وزارة الخارجية في عهده إلى الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز Shimon Peres، بمناسبة اختيار السفير عاطف محمد سالم سيد الأهل، ليكون سفيراً فوق العادة في "إسرائيل"⁶⁰.

وأظهرت أزمة انقطاع التيار الكهربائي، وما أحدثته من فوضى في معظم أنحاء مصر في أيلول/ سبتمبر 2014، حجم التباين في تعامل الإعلام المصري مع أزمات أقل حدة شهدها عهد الرئيس مرسي. فعلى الرغم من أن فترة حكم مرسي شهدت أزمة كبيرة في الوقود، وانقطاع الكهرباء، قال عنها أنصار مرسي بأنها مفتعلة، فإن الوضع لم يتغير في عهد السيسي، فبالنسبة للكهرباء استمرت أزمة الانقطاع وتفاقت، وشهدت مصر أيام مظلمة، وظهرت إشاعات بأن الحكومة سوف تصدر قراراً بإلغاء الدعم الخاص به. فمن المطالبة بتنحي مرسي إلى تبرير الأزمة للسيسي، وأن تلك الأزمة تحدث في أكثر الدول المتقدمة، ومطالبة الناس بالصبر على تلك الأزمة، كما ذهب بعض الإعلاميين أبعد من ذلك باتهام الإخوان أنهم وراء ذلك⁶¹.

⁶⁰ المرجع نفسه.

⁶¹ للمزيد انظر فيديو تباين في تعامل الإعلام المصري مع أزمة انقطاع الكهرباء، في:

<https://youtu.be/5MstKhDXu60>

الإعلام المصري بعد ثورة 25 يناير⁶²

سمات الخطاب الإعلامي بعد عزل مرسي	حالة المؤسسات الإعلامية بعد رحيل مبارك	الإعلام المصري قبل ثورة 25 يناير
إعلام الصوت الواحد المؤيد لعزل مرسي	انفلات إعلامي دون ضوابط أو قواعد تحكمه	هامش نسبي من الحرية
تصاعد خطاب الكراهية ضدّ الجماعات الإسلامية	ظهور عشرات القنوات الفضائية والصحف الخاصة	درجة معقولة من المهنية الاحترافية
تراجع وغياب القواعد المهنية	انقسام وتحيّز إعلامي بين الأحزاب والتيارات السياسية	سعى الإعلام الخاص ملء الفراغ السياسي
اتساع دائرة الاستهداف لرموز ثورة 25 يناير من غير الإخوان المسلمين	غياب المهنية	معظم مالكي القنوات الخاصة رجال أعمال ارتبطت مصالحهم بالنظام
الدعاية والرأي على حساب الخبر والمعلومة		فقدان التوازن خلال أيام الثورة
أخبار مجهولة المصدر		
استخدام سلاح الخوف وتضخيم الخطر		
النزعة الانتقامية		
ظاهرة المذبح الخطيب		

خلاصة:

لعب الإعلام المصري دوراً مهماً في الانقلاب على الرئيس مرسي، خصوصاً فيما يتعلق بإشعال نعمة المصريين عليه، وعلى الإخوان المسلمين. فقد اعتمدت وسائل الإعلام المصرية الهجوم المنظم والمستمر على الرئيس مرسي وجماعة الإخوان طوال عهده، واعتمدت على آلية تحليل الخطاب الإعلامي في تلك الفترة، حيث حرصت على تحميل مرسي والإخوان مسؤولية أي إخفاق أو سلبيات، حتى لو كانت مزمنة ومتوارثة

⁶² شحاتة عوض، "الإعلام المصري بعد 30 يونيو: أزمة بنيوية أم مرحلة عابرة؟".

منذ عهد مبارك. وانتشرت شائعات لم تهدف فقط إلى إسقاط الإخوان وتهيئة الساحة للسيسي لتصدر المشهد، بل لاستخدامها بعد ذلك عند اللزوم في تثبيت حكم السيسي ومحاولة احتواء أي إخفاقات يواجهها.

أصبح المشهد الإعلامي المصري غير مهني عموماً بعد عزل الرئيس مرسي، وبالغت معظم وسائل الإعلام المصرية في دعم نظام ما بعد مرسي، في ظل وجود بضعة استثناءات فردية تحاول الحفاظ على بعض التوازن. وفي العموم، امتلأت موجات الإذاعة والتلفزيون بالأغاني والبرامج الحوارية التي تمجد الجيش. ولعب الإعلام المصري دوراً مؤثراً في المشهد السياسي المصري، لا يقتصر على التحيز فقط، وإنما يتخطاه إلى ما يقول عنه مراقبون ونشطاء إنه "فبركة وتزييف حقائق".

لم يُظهر النظام المصري بقيادة عبد الفتاح السيسي الكثير من الاهتمام بجعل وسائل الإعلام الحكومية أكثر انفتاحاً وديموقراطية. وشهد الأداء الإعلامي المصري تراجعاً كبيراً، حيث شهد ممارسات حادة ومنفلتة. وعلى عكس مما كان يأمل ثوار 25 يناير في الوصول إليه، من تخفيف لقمع وسائل الإعلام، تدل المؤشرات إلى أن نظام السيسي كان أكثر قسوة من سابقه، حيث تم إلغاء عرض البرامج المعارضة والناقدة للنظام، كما قامت وزارة الداخلية بطلب عروض لشراء برمجيات لرصد شبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت.

عموماً، يتسم الإعلام في مصر بعد أكثر من خمس سنوات على ثورة 25 يناير بدعمه للنظام، فما زال الإعلام الحكومي في خدمة النظام لا الشعب، وما زال الإعلام الخاص يخدم في المقام الأول مصالح رجال الأعمال الذين يملكونه، والذين يدعمون بقوة النظام بقيادة السيسي. فعلى الرغم من استمرار الأزمات وتفشيها واتساعها خلال فترة السيسي، دافعت وسائل الإعلام هذه عن السيسي، ورأت بأن ما قام به إنجاز لا يتكرر، ويستحيل تحقيقه في أي عهد آخر. كما صورت وعود السيسي بشكل مبالغ فيه، وبنت آمالاً كبيرة على السيسي.

Egypt Between Two Eras: Morsi and al-Sisi

A Comparative Study

(5)

Media Performance

هذا الكتاب

دخل الإعلام المصري حالة استقطاب بعد ثورة 25 يناير، حيث شكّلت لحظة رحيل مبارك نقطة فارقة في مسيرة الإعلام المصري، الذي وجد نفسه فجأة متحرراً من معظم القيود الأمنية والإدارية، ولكن هذه الحرية تحولت إلى فوضى إعلامية، ولم تقم السلطة الانتقالية، ممثلة في المجلس العسكري، بأي خطوات لإعادة تنظيم الإعلام هيكلياً وتشريعياً.

واعتمدت وسائل الإعلام (التي ينتمي معظمها إلى بُنى "الدولة العميقة"، وإلى رجال أعمال معادون للتيارات الإسلامية أو للمسار الديموقراطي) الهجوم المنظم والمستمر على الرئيس مرسي وجماعة الإخوان طوال عهده، وحرصت على تحميلهما مسؤولية أي إخفاق أو سلبيات، حتى لو كانت مزمنة ومتوارثة منذ عهد مبارك. ودخل الإعلام بعد عزل مرسي منعطفاً خطيراً، حيث شهد تراجعاً في القيم المهنية في الأداء الإعلامي، مع تراجع أكبر في مساحة الحريات الصحفية.

نسلط الضوء في هذا الكتاب على تطور الأداء الإعلامي المصري منذ ثورة 25 يناير حتى نهاية سنة 2015.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

